بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين
باركت طبيعتي فيك

أود أن أكلمكم في هذه الليلة عن:

إحدى بركات التجسد الإلهي، وهي مباركة الطبيعة البشرية:

وأعني بهذا أن السيد المسيح، لما لبس طبيعتنا، بارك هذه الطبيعة. ولذلك نقول في القداس الإلهي (الغريغوري) وباركت طبيعتي فيك...

فالطبيعة البشرية، بتجسد السيد المسيح، لم تعد طبيعة فاسدة.

وكما قال القديس أثناسيوس الرسولي: إن الإنسان خلق على صورة الله ومثاله. ولكنه فسد بالخطية، وفقد صورته الإلهية. فجاء السيد المسيح يقدم للإنسان صورة الله مرة أخرى في الطبيعة البشرية التي لبسها. عادت إليَّ صورة الله بارك هذه الطبيعة، لتعود كما كانت: صورة الله ومثاله.

ولذلك فإنه في هذه الطبيعة ذاتها، عالج كل الضعفات التي وقع فيها الإنسان الأول. كما عالج ضعفات الإنسان بصفة عامة.

وأعطى طبيعتنا روح القوة أحد الطبيعة الضعيفة المهزومة، وأعطاها روح القوة.

هذه الطبيعة الساقطة المغلوبة المهانة، باركها الرب وأعطاها قوة لم تكن لها. ولذلك فالإنسان في المسيح يسوع لم يعد إنسانًا ضعيفًا...

تصوروا! إنسانًا مثل بولس الرسول يقول أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني (في ٤: ١٣). حقًا، من يجرؤ أن يقول أستطيع كل شيء؟! يقولها من يناجي الرب بعبارة باركت طبيعتي فيك.

لأن من يؤمن بعمل المسيح فيه، يعرف أيضًا قول الكتاب كل شيء مستطاع للمؤمن (مر ٩: ٢٣).

ومن بركات الرب التي بارك بها طبيعتنا، أنها:

صارت هيكلاً للروح القدس

وهذه الطبيعة المباركة أمكن أن تكون هيكلاً للروح.

الروح القدس أصبح يحل في هذه الطبيعة البشرية، بسر المسحة. وأصبحت أداة لينة طيّعة في يد الروح القدس يعمل بها عجائب. وتظهر فيها ثمار الروح (غل ٥: ٢٢). وأصبحت أيضًا محالاً لمواهب الروح (١ كو ١٤)... وهكذا أصبح جسد الإنسان هو هيكل للروح القدس (١ كو ٧: ١٩).

وبارك الرب هذا الجسد أيضًا، فأصبح له.

هذا الجسد الساقط، الذي اشتهى الثمرة المحرمة وأكل منها، والذي كثرت شهواته فيما بعد، والذي ارتبط بالمادة وخضع لها... لما بارك السيد المسيح طبيعتنا البشرية، لم يعد هذا الجسد فاسدًا كما كان من قبل. بل إن القديس بولس الرسول يقول:

تمجدوا الله في أجسادكم، وفي أروحكم التي لله (١ كو ٦: ٢٠).

أي أن هذا الجسد لما بوركت طبيعتنا، صار أداة لتمجيد الله، وصار لله. وكيف تبارك هذا الجسد؟ ومتى؟ تبارك لما لبس الرب جسدًا (يو ١: ١٤)، لما أخذ جسدًا واتحد به في طبيعة واحدة...

هناك فارق كبير بين العهد القديم والجديد، خذوا مثالاً له:

في العهد القديم كان من يمس جسد ميت يتنجس (لا ٢١: ١)، ذلك لأنه يمس جسدًا مات وهو تحت حكم الدينونة، لم يتبرأ من خطيته بعد، بل سيذهب إلى الجحيم...

أما في العهد الجديد، لما بارك الرب طبيعتنا، تغير الوضع تمامًا.

أصبحنا نلمس أجساد الذين انتقلوا، فنتبارك بها.

لقد قدس الرب طبيعتنا بدمه الطاهر، وحل الخطايا التي كانت تتنجس هذا الجسد... وهكذا أصبحنا نتبارك من عظام القديسين. ولم يعد لمس جسد الميت نجاسة كما كان الأمر في العهد القديم...

السيد المسيح لما بارك طبيعتنا، وبارك الجسد إذ اتحد به، أرانا أن الجسد يمكن أن يسلك بطريقة روحانية، وأن الجسد يمكن أن يخدم الله كما تخدمه الروح، وأن طبيعتنا البشرية كلها، جسدًا وروحًا ونفسًا يمكن أن تكون مقدسة وطاهرة... إننا نتعب حينما تتسيطر الخطية على الجسد، وتستخدمه لأغراضها.

فالعيب إذن في الخطية، وليس في الجسد...

وحتى لو خضع الجسد للخطية، لا يكون العيب في الجسد ذاته كطبيعة، إنما العيب هو في هذا الخضوع. أما الجسد فقد باركه الرب وقدسه. ومن اهتمام الله بهذا الجسد، إنه سيقيمه في اليوم الأخير، وسينعم عليه بأن يكون جسدًا نورانيًا روحانيًا، يتجلى في المجد...

ماذا فعل السيد المسيح أيضًا، لما بارك طبيعتنا فيه؟

لقد قدس الرب جميع غرائز الإنسان.

كل ما في الطبيعة البشرية أصبح طاهرًا. كل شيء طاهر للطاهرين. قدس الرب الأكل لما أكل، كما قدس الصوم لما صام. قدس الراحة والتعب. قدس النوم والصحو، لما مارس كل هذا...

السيد المسيح الوديع الهادئ، الذي لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته، قدس الوداعة والاتضاع بوداعته واتضاعه... وأيضًا قدس الغضب، لما أمسك سوطًا وطرد الباعة من الهيكل...

وأرانا أن الغضب يمكن أن يكون مقدسًا...

وذلك إذا ما استخدم حسنًا، ومن أجل الحق، وفي حدود معينة تجعله بعيدًا عن الخطأ، بل لازمًا في بعض الأحيان.

وقدس الرب كل الأعمال البشرية التي مارسها.

قدس الخدمة والكرازة، تمامًا كما قدس الوحدة والتأمل.

ذلك أنه سلك الأمرين معًا، إذ كان يقضي الليل في الصلاة في الجبل في بستان جثسيماني. وفي نفس الوقت كان يجول يصنع خيرًا، يطوف المدن والقرى يكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض (مت ٤: ٢٣).

الطبيعة التي تغلب الشيطان

في الطبيعة البشرية التي باركها المسيح، أعطانا روح الغلبة. أعطانا أن نغلب العالم ونغلب الشيطان.

الطبيعة الأولى الساقطة أيام آدم، كانت تُخاف الشياطين. وكان الشيطان رغمًا للبشر، وقد تعود أن يسقطهم. ولذلك قيل عن الخطية إنها طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء (أم ٧: ٢٦). ذلك لأن الشيطان استهان بالطبيعة البشرية، فلم يفلت من بين يديه أحد من البشر. الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله

ليس من يعمل صلاحًا. ليس ولا واحد (مز ١٤: ٣).

واستمر الحال هكذا، والشيطان مسيطر. حتى صار لقب الشيطان هو رئيس هذا العالم (يو ١٦: ١١). وكان الشيطان يفتخر باسقاط بني البشر، حتى أنه وقف متحديًا في قصة أيوب الصديق، وقال عنه للرب مرتين ولكن ابسط الآن يدك... فإنه في وجهك يجدف عليك (أي ١: ١١، ٢: ٥).

كان الشيطان يفتخر بأنه أسقط الكل، أو يستطيع أن يسقطهم...! إلى أن ليس المسيح طبيعتنا البشرية، واستطاع فيها أن يقول من منكم يبكتني على خطية؟! (يو ٨: ٤٦). واستطاع أيضًا أن يقول:

رئيس هذا العالم يأتي، وليس له فيَّ شيء (يو ١٤: ٣٠).

ولأول مرة يجد الشيطان نفسه مهزومًا. ليس فقط حينما قال الرب عنه رأيت الشيطان ساقطًا مثل البرق من السماء (لو ١٠: ١٨). وإنما أيضًا أحس الشيطان بالضعف والفشل في التجربة على الجبل (مت ٤).

هزمه كانسان للإنسان، ناتيًا عن طبيعة الإنسان.

في كل المواضع التي انهزم فيها الإنسان الأول، انتصر المسيح على الشيطان. ورأى الشيطان أمامه طبيعة أخرى يقف عاجزًا أمامها... وكان سهلاً على الشيطان في كل حروبه مع السيد المسيح، أن يقبل انهزامه أمام ابن الله... أما أن ينهزم أمام ابن الإنسان، فكان هذا أمرًا يغيظ الشيطان ويتعبه.

وأصر السيد المسيح على استخدام لقب ابن الإنسان، على اعتبار أنه جاء ناتيًاعن الإنسان. ليس فقط في دفع ثمن خطية الإنسان، إنما أيضًا بتقديم صورة طاهرة لإنسان ترضي قلب الله الآب، كما ترمز تقدمة الدقيق في سفر اللاويين (لا ٢)...

الإنسان الطاهر المنتصر الذي يقول: باركت طبيعتي فيك.

أراد الرب أيضًا أن يشعرنا أن طبيعتنا يمكن أن تنتصر. وهكذا رفع الرب معنوياتنا، وأعطانا الرجاء في حياة الغلبة. وقال لنا: في العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم (يو ١٦: ٣٣).

ولكن أي رجاء يعطينا، أنك قد غلبت العالم؟

نحن نعلم تمامًا أنك قادر أن تغلب العالم، فأنت القادر على كل شيء. ولكن كنا نود أن نسمع منك عبارة تقوا أنكم مستغلبون العالم... ولكن الرب يشرح لنا ما هو المقصود بقوله لنقوا أنا قد غلبت العالم... وكأنه يقول: أنا قد غلبته كابن للإنسان. غلبته بهذه الطبيعة البشرية التي لبستها، وأعطيت لهذه الطبيعة القدرة على حياة الغلبة.

غلبت العالم بطبيعتكم، كعربون لكي تغلب طبيعتكم العالم.

صار ممكنًا منذ الآن أن الطبيعة البشرية تغلب العالم، بعد أن غلبته أنا فيها... حقًا يارب: باركت طبيعتي فيك... وأعطيتني أنا الإنسان الضعيف طبيعة جديدة قادرة أن تغلب العالم... طبيعة يقف أمامها الشيطان خائفًا منها، بعد أن كانت خائفة منه. أصبح يخاف الطبيعة البشرية ليس في شخص المسيح فقط الذي اتحد بها لاهوته، إنما أيضًا في أشخاصنا نحن البشر الذين بارك الرب طبيعتنا.

ولنتأمل هذه الطبيعة البشرية المباركة التي يخافها الشيطان...

طبيعة تنتصر على الموت

قال السيد المسيح لتلاميذه وهو يرسلهم للخدمة اكرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السموات. هذه حرب تعلن ضد الشيطان، ولكنها قد لا تخيفه. فماذا أيضًا؟ قال لهم أقيموا موتى. أخرجوا شياطين (مت ١٠: ٧-٨). حقًا هنا يكمن الخوف للشيطان. ولكن هل هناك ارتباط بين هاتين العبارتين:

أقيموا موتى. أخرجوا شياطين أي ارتباط بينهما؟

واضح أن عبارة أخرجوا شياطين فيها سلطان على الشياطين، رجع بعدها التلاميذ فرحين يقولون

للرب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك (لو ١٠: ١٧). ولكن السؤال الهام هنا هو:

ماذا يخيف الشياطين في عبارة: أقيموا موتى؟

الأمر واضح أيضًا: إن الموت هو التحطيم الذي استطاع به الشيطان أن يحطم الطبيعة البشرية. هو أجرة الخطية التي جلبها الشيطان. ولذلك نقول للآب في القداس الإلهي والموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس، هدمته.... والشيطان يظن أن هذا الموت هو نهاية الإنسان. ولكن عندما يرى الإنسان يقوم، يشعر أن عمله الشيطاني بلا نتيجة.

على أن كثيرين قاموا من الموت، ورجعوا فماتوا مرة أخرى مثل ابن أرملة صرفة صيدا، وابن الشونمية، ومثل الذين أقامهم الرسل من الموت. ولكن إقامة الموتى هنا كانت مقدمة لعمل أعظم يحطم كل دولة الشيطان وهو: قيامة السيد المسيح، التي لا موت بعدها...

هذه القيامة كانت ترعب الشيطان لأنها تهدم كل عمله الذي تعب فيه من قبل. وقد وعدنا الرب أن نقوم من الأموات. وحقًا سنقوم في شبه مجد قيامته، بجسد روحاني لا يموت. وبهذا الجسد نرث الحياة الأبدية... إذ بارك الرب طبيعتنا فيه. طبيعتنا المائتة، وهبها الرب بركته عدم موت...

كما قال الرسول عن جسدنا المائت هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد. وهذا المائت يلبس عدم موت(١ كو ١٥: ٥٣). وهذا الموت الذي من أجله نصب الشيطان كل فخاخه وحبائله، وكل مكره وحيله، سوف نغني له ونقول: أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟ (١ كو ١٥: ٥٥). وحينئذ تصير الكلمة المكتوبة: ابتلع الموت إلى غلبة (١ كو ١٥: ٥٤) وشكرًا لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح. هذا الذي بارك طبيعتنا فيه، وأعطانا نعمة الحياة وعدم الموت.

إذن كانت إقامة الموتى التي وهبت للتلاميذ هي بروفة لتحطيم معنويات الشيطان. هي مقدمة ورمز للقيامة الخالدة التي لا موت بعدها.

وماذا تعني عبارة لا موت؟ تعني لا خطية. لأن أجرة الخطية هي موت (رو ٦: ٢٣). ونحن كنا أمواتًا بالخطايا. وعدم الموت بالنسبة إلينا، معناه أن الله قد محا الخطية ولم يعد يذكرها (ار ٣١: ٣٤). وهذا أكثر ما يخافه الشيطان، لأنه ضياع لكل ثمرة تعبه خلال عصور وأجيال طويلة...

إن عبارة أين شوكتك يا موت؟!، لا شك أنها تتعب الشيطان...

يقول بولس الرسول إني متيقن أنه لا موت ولا حياة... تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع (رو ٨: ٣٨، ٣٩).

عبارة لا موت أصبحت ترعب الشيطان، لأن كل عمل الشيطان هو أن يجلب حكم الموت على الناس. أما في الطبيعة الجديدة التي أخذناها من الرب فإننا نقول:

ليس موت لعبيدك، بل هو انتقال...

حقًا إنك باركت طبيعتي فيك، ولم يعد الموت يخيفنا، إذ لم تعد له سيطرة علينا. شوكته قد انتهت، بعد أن ألغاها السيد الرب بالقيامة. وكانوا حينما نسمع كلمة الموت، تموت من الضحك قائلين له أين شوكتك يا موت. وإذ بارك الرب طبيعتنا فيه، أصبحنا نسخر من الشيطان ودولته. وماذا أيضًا؟

أصبحت لنا طبيعة جديدة

وكما قال الرسول إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديدًا (٢ كو ٥: ١٧). لقد خلعنا الإنسان العتيق مع أعماله ولبسنا الجديد (كو ٣: ٩). وما هو هذا الجديد الذي لبسناه. يقول الرسول:

لأن جميعكم اعتمدتم للمسيح، قد لبستم المسيح (غل ٣: ٢٧).

أي مجد هذا؟ حقًا يارب، لقد باركت طبيعتي فيك... أرجعتنا إلى صورتنا الأصلية، وأصبح إنساننا الجديد هذا يتجدد حسب صورة خالقه (كو ٣: ٩). أصبحت طبيعتنا مؤهلة لأن يحل فيها الروح القدس، ويحلوله نلبس قوة من الأعالي.

وكما قال الرب:

ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم (أع ١: ٨).

وهذه القوة هي من سمات الطبيعة الجديدة، وبها نستطيع أن ننشهد للرب. وبها لا نخاف الخطية، ولا نخاف الشياطين، ولا نخاف الموت. لقد أصبحت الطبيعة البشرية شيئًا آخر بعد أن باركها المسيح.

ولذلك نقرأ عن أشياء عجيبة في الأصحاح السادس من رومية:

إنساننا العتيق قد صُلب. دفن بالمعمودية (رو ٦: ٦، ٤).

متنا عن الخطية، ليبطل جسد الخطية، كي لا نعود نستعبد أيضًا للخطية، هكذا نسلك في جدة الحياة (رو ٦: ٢-٦).

هذه هي الطبيعة الجديدة، التي باركها المسيح فيه، التي خلصها من كل أخطائها، وغسلها في المعمودية، لتبيض أكثر من الثلج (مز ٥٠). لذلك حسنًا بشر الملاك بالميلاد قائلاً أبشركم بفرح عظيم. إنه ولد لكم اليوم مخلص هو المسيح الرب (لو ٢: ١٠-١١).

ما هو هذا الخلاص الذي نلناه في التجسد الإلهي؟

خلصنا من عقوبة الخطية، من نتائجها، من الموت، من الدينونة... ولكن هل الخلاص من هذا فقط؟! كلا بلا شك. لأنه لو خلصنا من عقوبة الخطية وترك طبيعتنا كما هي فاسدة، تسيطر عليها الخطية مرة أخرى، وبالخطية الموت، فلنا ما الذي استفدناه. ولكن السيد الرب عمل معنا ما هو أعظم.

فكما خلصنا من عقوبة الخطية، خلصنا من فساد الطبيعة البشرية.

خلصنا من الفساد. هذا هو الأهم. صلب إنساننا العتيق. أماته. لم يعد للشيطان سلطانًا علينا، بل أعطانا سلطانًا على جميع الشياطين (مر ٣: ١٣، مت ١٠: ١). أصبحت طبيعتنا لها سلطان على الأرواح النجسة. وأعطى هذا العربون للتلاميذ أولاً...

ليست طبيعتنا المسيح (غل ٣: ٢٧) فليست القوة والقداسة.

ليست المسيح في المعمودية. والمسيح غلب العالم. وهكذا ليست أنت هذه الغلبة التي في المسيح يسوع، كما ليست البر الذي في المسيح يسوع. وليست القوة التي بها هزم الشيطان وهزم الموت... هذه هي البركة العظمى التي نالتها طبيعتنا، لما جددها الروح مرة أخرى

بارك المسيح طبيعتنا، بأن خلصها من كل سقطاتها.

كيف كان ذلك؟ وما هي السقطات التي خلصها منها الروح؟

لقد أمسك السيد بكل نقاط الضعف ومواطن السقوط في هذه الطبيعة، وهزم الشيطان فيها، ووضع أنفه في الكبرياء، وأراه هذه الطبيعة البشرية منتصرة في كل ميدان، ومستعيدة صورتها الإلهية.

بالطاعة الكاملة للآب، خلص طبيعتنا من سقطة العصيان.

سقطت الطبيعة البشرية في العصيان، وخالفت الرب، وتمادت في المخالفة إلى أقصى حد. فجاء المسيح بهذه الطبيعة، وأعطاها أن تطيع حتى الموت موت الصليب (في ٢: ٨)، وأن تقول لله الآب لتكن لا مشيئتي بل مشيئتك (لو ٢٢: ٨)، لا ما أريد أنا، بل ما تريد أنت (مر ١٤: ٣٦)، وقال أيضًا لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الآب الذي أرسلني (يو ٥: ٣٠)، لأني قد نزلت من السماء، ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني (يو ٦: ٣٨). وقال أيضًا طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله (يو ٤: ٣٤).

وعلمنا أن نقول للآب في صلواتنا: لتكن مشيئتك.

وهكذا قدم السيد المسيح صورة للطبيعة البشرية المطيعة لله، الذي طعامها أن تفعل وصاياه، ومشيئتها هي مشيئته. وبذلك صحح الخطأ القديم الذي شوّه الطبيعة البشرية منذ آدم وخلال كل العصور...

وفي هذه الطبيعة التي باركها، هزم الشيطان بطريقتين:

هزمه بالضربة القاضية على الصليب. وغلبه كذلك بالنقط، بنجاح على طول الخط، خلال كل فترة تجسده على الأرض. ولم يعطه مطلقًا أية فرصة. وأراه أن الطبيعة البشرية التي باركها، يمكن أن تنتصر عليه.

هذا من جهة الشيطان. أما من جهة الله الآب، فقد أرضاه في التجسد، إذ قدم له الطبيعة البشرية طائعة له حتى المنتهى.

. فكان بذلك رائحة سرور للرب. ليس فقط كذبيحة محرقة، أو كذبيحة خطية، فوق الصليب، إنما أيضاً:
كان أيضاً رائحة سرور للآب، في حياته المقدسة.
ناب عن البشرية في تقديم رائحة السرور هذه لله الآب، في حياة طاهرة، كاملة في طهارتها وبرها وقداستها وطاعتها...
وبهذا أوجد صلحاً بين الآب والبشرية. وكأنه يقول لله الآب: أنا أريد أن أصالحك مع هؤلاء. هم أغضبوك بعدم
الطاعة. وأنا بالنيابة عنهم سأقدم لك هذه الطاعة كرائحة سرور أمامك.
وبهذا حقق السيد المسيح ثلاثة أهداف بعمل واحد.
وهذا العمل الواحد هو حياته المقدسة. وأما الأهداف الثلاثة فهي:
أ- حطَّم أسطورة الشيطان المنتصر، إذ هزمه وأذل كبرياءه.
ب. أرضى قلب الآب بتقديم الطاعة الكاملة له من الطبيعة البشرية.
ج- رفع معنويات الإنسان. وكيف ذلك؟
كما رفع داود معنويات الجيش كله، بهزيمته لجليات.
كان كل أفراد الجيش خائفين من ذلك الجبار، شاعرين بصغر نفس أمامه، معزولين عملياً وفكرياً بأنهم عاجزون أمامه.
فلما ضربه داود وهزمه، ارتفعت معنويات الكل. وأدركوا أن غير المستطاع عند الناس، هو مستطاع عند الله (مز ١٠ :
٢٧). وأدركوا أيضاً أن الله لا يتخلى عن أولاده، وإنما يقودهم في موكب نصرته. وهكذا فعل المسيح في تجسده، إذ رفع
معنويات الطبيعة البشرية، وأشعرها أن الانتصار سهل وممكن أمامها...
وظهر الانتصار واضحاً في التجربة على الجبل...
انتصار على المادة والأكل، الأمر الذي وقع فيه أبوانا الأولان...

وانتصار على الكبرياء ومحبة المناظر، برفض منظر أن تحمله الملائكة، ورفض الملك والسيادة، ورفض استخدام سلطانه كابن الله لتحويل الحجارة إلى خبز... وإذا بالطبيعة البشرية التي سقطت حينما أرادت أن تصير مثل الله (تك ٣: ٥)، أصلح الرب مسارها، حينما أخلى ذاته وأخذ شكل العبد، وصار في الهيئة كإنسان (في ٢: ٧).

وهكذا بارك الطبيعة بالاتضاع. فخلصها من الكبرياء.

خلصها من حب العظمة الذي وقع فيه الشيطان حينما قال أصيرمثل العليّ (إش١٤: ١٤)، والذي أراد أن يوقع به الإنسان حينما قال لأبوينا الأولين تصيران مثل الله عارفين الخير والشر (تك ٣: ٥).

وصار الاتضاع بركة، من يعيش فيه، يكون في صورة الله المتضع. وبارك طبيعتنا بالرجاء أعطاها نعمة الرجاء مهما كانت خطيتها. لأن الشيطان كان يحارب باليأس أيضًا. كما أهلك به يهوذا الإسخريوطي... بهوذا هذا الذي ندم على ما فعله، وأرجع المال وقال أخطأت إذ أسلمت دمًا بريئًا (مت ٢٧: ٤)، عاد الشيطان فأسقطه في اليأس، في خطيته قطع الرجاء، فمضى وخنق نفسه (مت ٢٧: ٥)... كيف بارك المسيح طبيعتنا، وحصنها ضد اليأس:

بارَكها بالرجاء وعدم اليأس، بقبوله اللص اليمين.

قبل إليه هذا اللص، الذي استمر في شروره إلى آخر ساعات حياته، إذ كان يعير الرب على الصليب مع اللص الآخر كما يروي معلمنا مرقس الإنجيلي (مر ١٥: ٣٢). ولكن اللص اليمين عاد فاستجاب لعمل النعمة فيه، وبكّت اللص الآخر، واستحق أن يسمع من الرب عبارة اليوم تكون معي في الفردوس (لو ٢٣: ٤٣). وهكذا خلص اللص أخيرًا، وأصبح مثالاً لمباركة الطبيعة البشرية بعمل الرجاء فيها مهما كانت الظروف المحيطة.

فهل من مثال آخر إلى جوار مثال اللص؟ نعم هناك مثال:

بطرس الذي أنكر المسيح، كان مثالاً آخر للرجاء.

كان يمكن أن ييأس، وبخاصة لو ركز على قول الرب من ينكرني قدام الناس، أنكره أنا أيضًا قدام أبي الذي في السموات (مت ١٠: ٣٣). ولكن الرب الذي قال هذا، هو نفسه الذي قبل بطرس إليه، بل أعاده إلى رتبة الرسولية بقوله له بعد القيامة ارع غنمي. ارع خرافي (يو ٢١: ١٥-١٦).

حقًا إن الرجاء بركة عظيمة بوركت بها طبيعتنا.
فاليأس هو لعنة تورث الحزن، وتورث الهلاك. أما نحن ففي بركة الرجاء، نعيش حسب وصية الرسول فرحين في الرجاء(رو ١٢: ١٢).
وأولاد الله في هذه الطبيعة التي تباركت بنعمة الرجاء، ينطبق عليهم قول إشعياء النبي وأما منتظرو الرب، فيجددون قوة، يرفعون أجنحة كالنسور. يركضون ولا يتعبون. يمشون ولا يعيون (إش ٤٠: ٣١).
الله يعطي رجاء، حتى لطبيعة العاقر التي لم تلد (إش ٥٤: ١).
إذن فلنعش في الرجاء، وفي انتظار ملكوت الله. ولا يقل أحد مهما كانت خطيئته: لا فائدة من إصلاحي. إن طبيعتي هكذا...!
لا تقل طبيعتي هكذا لا تأس من طبيعتك. إنما سبح الرب بعبارة باركت طبيعتي فيك.
لقد بارك الرب طبيعتك في نواحٍ متعددة...
باركها في المعمودية، حينما صلب فيها الإنسان العتيق ووهبها جدة الحياة (رو ٦). كما وهبها البنوة الأولى (يو ٣: ٣-٥). وبارکها في المسحة المقدسة بحلول الروح القدس، وبارکها بالتطهير المستمر في سر التوبة. وبارکها بالتناول من الأسرار المقدسة، وبنعمة الثبات فيه (يو ٦: ٥٦).
لقد باركها وقدسها، وأعطاها المواهب والمواعيد. بررها الله وقدسها، لتكون مشابهة لصورة ابنه، ومجدها أيضًا (رو ٨: ٢٩-٣٠). وأهلها للمواهب. وما أجمل أن نضع أمامنا صورة يوحنا المعمدان الذي وهو جنين امتلأ من الروح القدس (لو ١: ١٥). وارتكض في بطن أمه للقاء المسيح، وامتلأت أمه من الروح القدس (لو ١: ٤١) وماذا عن طبيعتك أيضًا في مباركة الرب لها؟
وقدس الرب طبيعتنا في كل مراحل العمر :قدس الطفولة لما العمر: مرّ بهذه المرحلة. وقدس الفتوة وهو فتى. وقدس مرحلة الشباب وهو شاب، ومرحلة الرجولة، وهو رجل. وقيل عنه أنه كان ينمو، وكان يتقدم... (لو ٢: ٥٢). وهكذا قدم لنا مثالية في كل مرحلة من مراحل العمر تمر بها طبيعتنا.

وكذلك قدس طبيعتنا في كل الظروف.
قدس مواجهة العدو، لما أتوه للقبض عليه، فواجههم وقال لهم أنا هو (يو ١٨: ٥-٦). وقدس البعد عن الشر بالهروب إلى مصر.
قدس الاحتمال لما احتمل ظلم الأشرار. وقدس الجدل البناء لما جادل الكتبة والفريسيين والصدوقيين. قدس الصمت لما صمت. وقدس الكلام لما تكلم. واذا بطبيعتك البشرية يا أخي تتبارك في كل عمل. وماذا أيضًا؟
نالت طبيعتك نعمة البنوة
فالذين قبلوه أعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله (يو ١: ١٢). والقديس يوحنا الحبيب ينهي بهذا الأمر فيقول انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله (١ يو ٣: ١).
والبنوة تصحبها أيضًا المواعيد، والميراث والبركات... وهذا موضوع طويل لست أرى الوقت متسعًا له... ولكني أقول:
كل هذه البركات هي من ثمار التجسد الإلهي.
ومن ثمار الفداء الذي كان هدف التجسد أيضًا.
وفي هذه البركات يقول لنا الرب لا أعود أسميكم بعد عبيدًا بل أحباء (يو ١٥: ١٥).
له المجد في محبته من الآن وإلى الأبد آمين.

بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين
ذهبًا ولبانًا ومرًا.. هذه الثلاثة معًا

المخلوق يقدم للخالق

مع أن الله هو المعطي، والمعطي للكل، لأنه مصدر كل خير، إلا أننا كثيرًا ما نرى المخلوق يعطي للخالق! ففي قصة الميلاد قدم المجوس للمسيح هدايا ذهبًا ولبانًا ومرًا.

ولم يكن المجوس الوحيدين الذين قدموا للمسيح.

ففي معجزة إشباع الجموع قدم له طفل خمس خبزات وسمكتين...

وفي قصة القيامة نرى النسوة قد قدموا له الحنوط والأطياب، بينما يوسف الرامي قد قدم له مقبرته الجديدة كي يدفن فيها. والمرأة الخاطئة قدمت دموعها وشعر رأسها لتمسح قدميه. وبوحنا الحبيب قدم رأسه لتتكيء على صدر المسيح... ومريم العذراء قدمت كل شيء...

وفي العهد القديم نرى كثيرين قدموا تقدمات للرب...

وأول إنسان ذكر الكتاب أنه قدم للرب شيئًا هو هابيل الصديق، الذي قدم له محرقة من أبكار غنمه ومن سمانها(تك ٤).

وإبراهيم أبو الآباء ذهب ليقدم ابنه الوحيد. وكثيرون غيره قدموا تقدمات. وكانت هذه التقدمات تسمى أيضًا (قربين).

سميت قربين لأنهم يتقربون بها إلى الله.

وكثرت في العهد القديم الذبائح والمحرقات والتقدمات والقربين. وكان الله يقبلها، إن كانت من قلب نقي... وفي الأصحاح الأول من سفر إشعياء النبي، رفض الله التقدمات التي قدمها الأشرار لأن أيديهم ملآنة دمًا (إش ١: ١١-١٥). ولكن لماذا قبل الرب تقدمات القديسين؟

كانت تعبيرًا عن الحب وتقديم القلب لله.
وكانت تحمل أحيانًا شعور الانسحاق والاعتراف بالخطية، كما في ذبائح الخطية وذبائح الاثم والمحرقات التي قدمها أيوب عن أبنائه (أي ١ : ٥).
ولكن نقف في عجب، حينما نرى المخلوق يقدم شيئًا للخالق...!
فالخالق يملك كل شيء، وكل ما يملكه الإنسان هو من عنده...
ولكن الأعجب أن الخالق، كان هو الذي يطلب!
فهو الذي قال عن خليقته: ولا تظهروا أمامي فارغين (خر ٢٣: ١٥). وهو الذي وضع شرائع العشور والبكور والنذور... والبخور... وهو أيضًا وضع الشرائع الخاصة بالذبائح والمحرقات...
وفي كل ذلك لم يكن يريد هذه التقدمات في ذاتها، إنما كان يريد القلب، وما يحمله من مشاعر حينما يقدم شيئًا. لذلك قال يا ابني اعطني قلبك أي اعطني حبك...
إن كانت تقدماتك خالية من الحب، فأنت لم تقدم شيئًا.
أما إن قدمت حبك، فحينئذ تكون قد قدمت كل شيء.
وكل ما تقدمه بعد ذلك، يكون نابعًا من الحب، سواء كان شيئًا ماديًا كالعشور، ولكن وراءه المحبة والشفقة والحنو... أو كان تقدمة روحية كالصلاة، وفيها أيضًا الحب والاشتياق إلى الله...
مشاعرك وأنت تقدم، أهم مما تقدمه...
فافحص إذن مشاعرك، وتأكد من نقاوتها، وتأكد من عاطفة الحب فيها. وثق أن الله هو فاحص القلوب، ويعرف داخلك تمامًا. لذلك هو يقبل منك إن كانت مشاعر القلب سليمة.
إن الله لا تهمه الكثرة أو القلة فيما تعطيه، إنما يهمه قلبك. لذلك ذكر أن التي أعطت الفلسين قد أعطت أكثر من الجميع، لأنها أعطت من أعوازها، وفضلت الله على نفسها... ولنتأمل هذا أيضًا في تقدمة الخوس...

هؤلاء المجوس الذين أتوا إلى السيد المسيح من بلاد بعيدة، جاءوا إليه عن حب: ساروا المسافات الطويلة حتى وصلوا إليه. ومن أجله دخلوا في بلادٍ غريبة عليهم، تعرضوا فيها للموت والهلاك، إذ كان ممكنًا أن يغدر بهم هيرودس الملك أو بعض أتباعه...

كانوا مشتاقين إلى الرب، تواقين لرؤية هذا المولود الذي دفعم عليه النجم.

وقد ملك هذا الاشتياق كل قلوبهم، فسعوا إليه لا يفكرون إلا فيه. من أجل هذا استحقوا أن يروه، ويقدموا له عطاياهم عن حب وعن إيمان. وماذا أيضًا.

المعروف في قصة الميلاد أن المجوس قدموا للسيد المسيح هدايا: ذهبًا ولبانًا ومرًّا (مت ٢: ١١).

وكانت هذه الهدايا رموز في قصة الميلاد الإلهي:

كان الذهب يرمز إلى السيد المسيح كملك. لعظمته.

وكان اللبان يرمز إليه ككاهن (لاستخدام اللبان في البخور).

وكان المر يرمز إلى الآمه من أجلنا.

غير أننا نريد أن نعرف رموز هذه الأشياء في حياتنا.

هل في حياتك الخاصة تقدم للرب هدايا من هذا النوع، تقدم نفسك للمسيح، وتقدم فيها ذهبًا ولبانًا ومرًّا...؟ وإن كان الأمر كذلك، فإلى أي شيء يرمز كل واحد من هذه الثلاثة، في حياتك الخاصة؟

الذهب الذهب يرمز إلى الشيء الثمين، ويرمز إلى النقاوة.

ولذلك نرى كيف كان الذهب مستخدمًا في الهيكل في العهد القديم.

كان تابوت العهد مغشى بالذهب النقي من الداخل والخارج، وغطاؤه من ذهب نقي، والكاروبان اللذان عليه من الذهب أيضًا (خر ٣٧: ٢، ٦، ٧). وكانت المائدة مغشاة بالذهب النقي، والأواني من الذهب النقي (خر ٣٧: ١١، ١٦). وكانت المبارة من ذهب نقي (خر ٣٧: ١٧).

ومذبح البخور كان مغشى بالذهب نقي، وله إكليل من ذهب حواليه... (خر ٣٧: ٢٦). والمجامر يقول عنها سفر الرؤيا أنها كانت من ذهب (رؤ ٥: ٨) وكذلك كانت في العهد القديم (عب ٩: ٤).

كل هذا كان رمزًا إلى عظمة الخدمة ونقاوتها.

والسيدة العذراء كانت تشبه أيضًا المجمرة الذهب، وبتابوت العهد المغشى بالذهب من الداخل والخارج، رمزًا إلى عظمة العذراء ونقاوتها. وكانت العذراء تشبَّه أيضًا بقسط المن الذي هو من ذهب أيضًا (عب ٩: ٤).

فهل نفسك أيضًا غالية، يرمز إليها بالذهب؟

هل نفسك التي تقدمها للمسيح، هي من النفوس الغالية الثمينة التي يرمز إليها الذهب؟ وهل هي في نقاوتها مثل الذهب النقي، مثل تابوت العهد المصفح بالذهب من الداخل والخارج؟

هل نفسك غالية وثمينة بالنسبة إلى كل المحيطين بها، بالنسبة إلى الكنيسة وإلى المجتمع؟ وغالية عند الله نفسه؟ تقدمها لله من ذهب نقي، لا شوائب فيها... ليتك كلما تنظر إلى نفسك، تتذكر النفوس الغالية عند الله...

تأمل معي بعضًا من هذه النفوس الغالية الثمينة...

يوحنا المعمدان مثلاً. الذي كان غاليًا عند الله، حتى أنه من بطن أمه امتلأ من الروح القدس، وقيل عنه إنه كان عظيمًا أمام الرب (لو ١: ١٥).

والطفل موسى، الذي كانت نفسه غالية عند الله، حتى أنه أرسل إليه في طفولته أميرة لتنتشله من الماء، وتدعوه ابنها، وتهتم به اهتمامًا خاصًا (خر ٢)... موسى الذي دافع عنه الله بكل قوة وحب، لما تكلمت عليه مريم وهرون (عدد ١٢).

ويوحنا الحبيب، كان نفسًا غالية عند الرب، حتى سمح له أن يتكيء في حضنه (يو ١٣: ٢٣).

وكالمعمدان وموسى ويوحنا الحبيب، كان أبونا إبراهيم.

هذا الذي دعاه الله وباركه وجعله بركة (تك ١٢). ودافع عنه لما أخذ أبيمالك سارة زوجة إبراهيم. فهدد الرب أبيمالك بالموت. وقال له رد امرأة الرجل، فانه نبي، فيصلي لأجلك فتحيا (تك ٢٠: ٧)... إبراهيم الذي سمح له الله أن يناقشه قبل حرق سدوم (تك ١٨)، كما سمح لموسى أن يناقشه لما أراد إفناء الشعب (خر ٣٢)...

ويعوزني الوقت إن تحدثنا عن النفوس الغالية .

التي كانت ثمينة جدًا عند الله، حتى أنه دعاها وبرّرها وقدسها، وكان يقبل شفاعتها في غيرها، وكان يجعلها هيكلاً يحل فيها روحه القدوس... النفوس التي التمنها الرب على المواهب، وائتمنها على رعاية شعبه، أو على رسالات يوصلونها إليهم... والنفوس التي كان يرسل لها الله ملائكة لخدمتها، أو لإنقاذها...

فهل نفسك هي من هذه النفوس الغالية؟

الذي يشعر أن نفسه غالية، لا يفسدها...

إن كانت نفسك غالية عند الله والناس، حافظ عليها، ولا تتسبب في هلاكها وضياعها، ولا تسمح أن تفقد نقاوتها وتفقد صورتها الإلهية. لتكن باستمرار ذهبًا خالصًا نقيًا مثل منارة الذهب، والمجمرة الذهب، وتابوت العهد...

إن المجوس لما قدموا للرب ذهبًا، قدموا أثمن ما عندهم.

فهل أنت أيضا تقدم أثمن ما عندك للرب؟

وأثمن ما عندك هو قلبك. فهل تقدمه للرب؟

وهل تقدم للرب أيضًا من أعوازك، كما قدمت الأرملة التي امتدح الرب عطاءها؟ هل أنت لا تبخل على الله بشيء مهما كان ثمينًا عندك؟ حتى ابنك الوحيد تكون مستعدًا لتقديمه كما فعل أبونا إبراهيم لما طلب منه الرب وحيده إسحق؟ أنت تقدم أثمن ما عندك من ذهب، وأيضًا تقدم لبانًا...

اللبان

اللبان يرمز إلى الكهنوت وإلى العبادة...

يرمز إلى الكهنوت، لأن اللبان هو حيات البخور التي توضع في المجمرة فتقديم البخور هو من عمل الكهنة فقط (خر ٣٠: ٨).

وبخور اللبان يرمز إلى العبادة أيضًا، كما يقول المرتل فلتستقم صلاتي كالبخور قدامك. وليكن رفع يديّ كذبيحة مسائية (مز ١٤١: ٢).

وقيل عن البخور في سفر الرؤيا إنه صلوات القديسين.

صلوات القديسين هي بخور ذكي الرائحة، صاعد إلى الله...

فالأربعة والعشرون كاهنًا، كانوا يحملون جامات من ذهب مملوءة بخورًا هي صلوات القديسين (رؤ ٥: ٨). وحبات اللبان حينما توضع في النار، تتحول إلى بخور أو دخان تذكّرنا بصلوات القديسين، هذه الصلوات التي تنعطر بها الكنيسة المقدسة كما قيل عنها في سفر نشيد الأناشيد:

كأعمدة من دخان، معطرة بالمر واللبان (نش ٣: ٦).

والمر واللبان، هما كالاهما من الهدايا التي قدمها المجوس للرب في يوم ميلاده. فهل نفسك التي تقدمها لله تكون معطرة بهما أيضًا، كما هي ثمينة كالذهب، وهكذا تجمع التقدمات الثلاثة معًا...

هل نفسك تصعد كرائحة بخور أو لبان أمام الله؟

تقدم رائحة زكية، يتنسم منها الله رائحة الرضا (تك ٨: ٢١).

وهل صلواتك أيضًا تصعد كرائحة بخور، في عطرها وفي حرارتها ؟

هل أنت لبان؟ وإن كنت لبانًا، كيف تتحول إلى بخور؟

البخور هو لبان محترق، لبان دخل المجمرة.

إنه لبان دخل إلى النار، نار الله المقدسة، اشتعلت فيه، واستسلم هو لها، فتحول إلى بخور. فهل أنت قد دخلت إلى النار من أجل الله؟ وهل تحولت فيها إلى محرقة بخور حسب تعبير الكتاب؟

واللبخور (اللبان المحترق) يعتبر ذبيحة، كانت تقدم إلى الله على مذبح البخور (خر ٣٧: ٢٥).

فهل أنت تقدم حياتك كلها، وليس مجرد صلاتك، كذبيحة لله، كمحرقة بخور؟ ليتك في هذا تستمع إلى قول الرسول «أطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله، أن تقدما أجسادكم ذبيحة حية مقدسة، مرضية عند الله عبادتك العقلية (رو ١٢: ١). نفسك الثمينة يمثلها الذهب. وعبادتك النقية يمثلها اللبان المحترق كبخور. فماذا عن المرّ إذن؟

المرّ:

المر هو رمز للألم. وهو أيضًا عطر. المر نوع من العطور. هو عطر سائل. ولذلك قيل في سفر النشيد معطرة بالمر واللبان (نش ٣: ٦). وقالت عذراء النشيد قمت لأفتح لحبيبي، ويداي تقطران مرًّا، وأصابعي مر قاطر على مقبض القفل (نش ٥: ٥). وفي سفر أستير قبل إن الملكات كانت تكمل أيام تعطرهن ستة أشهر بزيت المر (أس ٢: ١٢). وقيل عن عطر المر في سفر المزامير المر والميعة والسليخة من ثيابك (مز ٤٤).

المر هو رمز للألم. وهو أيضًا عطر. المر نوع من العطور. هو عطر سائل. ولذلك قيل في سفر النشيد معطرة بالمر واللبان (نش ٣: ٦). وقالت عذراء النشيد قمت لأفتح لحبيبي، ويداي تقطران مرًّا، وأصابعي مر قاطر على مقبض القفل (نش ٥: ٥). وفي سفر أستير قبل إن الملكات كانت تكمل أيام تعطرهن ستة أشهر بزيت المر (أس ٢: ١٢). وقيل عن عطر المر في سفر المزامير المر والميعة والسليخة من ثيابك (مز ٤٤).

الكنيسة تصعد إلى الله، معطرة بالمر.

معطرة بالمر واللبان، وكل أذرة التاجر... صلواتها، التي هي لبان محرق، هي عطر أمام الله، رائحة تجور. وآلامها التي يرمز إليها المر، هي أيضًا عطر. وهذا هو ما نعرفه عن المر:

المر في رائحته عطر، وفي مذاقه مر.

وهذا يعطينا فكرة جميلة عن الألم الذي يرمز إليه المر... إنه في نفس الوقت عطر... أي أن الآلام لها رائحة زكية أمام الله، فتتعطر الكنيسة بآلامها حينما تقف أمام الله. ويبتسم الله من آلامها رائحة الرضا.

لِنبدأ نتأمل هذا التعبير: الكنيسة تتعطر بالآلام.

هكذا كان الشهداء والمعترفون. آلامهم هي عطورهم، تفوح منها رائحة جميلة أمام الله والناس... وهكذا أيضًا كانت كل الآلام التي تحملها الخدام في الخدمة.

ولذلك قال الرب عن أكاليل بولس الرسول سأريه كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمي (أع ٩: ١٦). لا يكفي إذن أن تكون لبانًا، إنما تكون لبانًا عطرًا، معطرًا بالمر، تتحمل الألم لأجل الرب. تمشي في الطريق الكرب، وتدخل من الباب

الباب الضيق (مت ٧: ١٤). وبضيقات كثيرة ينبغي أن ترث ملكوت الله (أع ١٤: ٢٢).
ونحن لا يمكن أن نستقبل المسيح بغير المرّ.
حتى السيدة العذراء نفسها، بكل محبتها لله، وبكل محبة الله لها، قيل لها للهأنت أيضًا يجوز في نفسك سيف الله (لو ٢: ٣٥).
وأصبح المر ليس فقط من سمات أولاد الله، بل من الهبات التي يهبها الرب لنا، إذ قيل لنا للهوُهب لكم لأجل المسيح، لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضًا أن تتألموا لأجلهلله (في ١: ٢٩).
والسيد المسيح نفسه قدم لنا مثالاً للمر في حياته.
ذاق المرارة طول حياته، وبلغت أقصاها في آلامه على الصليب. وعليه أيضًا قدموا له مرًا ليشرب...
وخروف الفصح الذي كان يرمز للسيد الرب في عمله الفدائي وورد في الكتاب إنه يؤكل للهعلى أعشاب مر قللله (خر ١٢: ٨). وتقدمة الدقيق التي كانت ترمز لتجسد الرب، ورد في أوصافها أنه لا يكون معها عسل (لا ٢: ١١)، لأن العسل لا يتفق مع المر. بل قيل يوضع عليها اللبان (لا ٢: ١٥)، لأن اللبان يتفق مع المر...
والمسيحية لا يمكن أن تبعد عن المرّ...
لا يمكن أن تبعد عن الصليب أو تنفصل عنه، إن أرادت أن تكون لبأنًا وتصعد إلى الله كرائحة بخور.
لابد أن يكون المر معها للهمعطرة بالمر واللبانلله...
وإن أرادت أن تكون ذهبًا خالصًا، لابد أن تكون مرًا قاطرًا.
هذه الثلاثة معًا

لا بد أن تجتمع هذه الثلاثة معًا في حياة إنسان الله: يجتمع الذهب واللبان والمر. وسنرى أمثلة كثيرة لذلك:

في حياة داود النبي، نرى الذهب واللبان والمر.

كان في حياته الذهب، كملك، كمسيح للرب، إنسان نفسه غالية أمام الله، في حياته وبعد موته.

وكثيرًا ما كان الله يقول للأمن أجل داود عبدي»(١ مل ١١: ١٣).

وفي حياة داود لبان، نراه في صلواته وفي مزاميره، التي كانت كرائحة بخور...

وفي حياته أيضًا نرى المر: ذاقه من شاول الملك، ومن أبنير رئيس الجيش ويوآب بن صروية، وذاق هذا المر أيضًا من ابنه أبشالوم، ومن شمعي بن جيرا، ومن أعداء كثيرين حتى قال «لعلّ الرب لماذا كثر الذين يحزنونني» (مز ٣)، وقال أيضًا «لأكثر من شعر رأسي، الذين يبغضونني بلا سبب» (مز ٦٩: ٤).

وأبونا إبراهيم كان في حياته الذهب واللبان والمرّ.

الذهب في حياته يظهر في عظمته وغناه، إذ هزم أربعة ملوك واستقبله في رجوعه ملكان (تك ١٤).

كما كان عظيمًا أيضًا في نظر الله، الذي اختاره ودعاه وباركه (تك ١٢). والذي جعله بركة، وكان يقبل شفاعته (تك ١٨: ١٧-٣٢). وفي حياة أبينا إبراهيم كان اللبان، ككاهن للأسرة، وكرجل قدم للرب خدمة المذبح وتقديم المحرقات... وفي حياته أيضًا كان المر، في حياة الغربة التي عاشها، لا حرمانه من البنين حتى شاخ، وفي تجربته، وفي ضيقاته من كثيرين...

حياة كل إنسان مع الرب، لا يمكن أن تكون ذهبًا، الا إذا كانت أيضًا لبانًا ومرًا.
وهذا الشرط لازم جدًا، فاللبان والمر، هما الطريق الذي يسلكه الإنسان ليصير ذهبًا أمام الله. وأمثلة هذه القاعدة كثيرة جدًا في الكتاب المقدس.

لنأخذ حياة القديس بولس الرسول كمثال: مما لا شك فيه أن حياته صارت ذهبًا، هذا القديس الذي صعد إلى السماء الثالثة ورأى أشياء لا ينطق بها (٢ كو ١٢: ٤)... هذا الذي صنع به الله آيات وعجائب وقوات (٢ كو ١٢: ١٢)، وتكلم بألسنة أكثر من الجميع (١ كو ١٤: ١٨)، وبشر بالإنجيل في أماكن متعددة، واختاره الرب ليكون رسول الأمم، ليحمل اسمه إليهم (أع ٩: ١٥)... ولكنه لم يصر ذهبًا، إلا بعد أن صار مرًا.

فمن أول دعوته أراد الملك الحارث أن يمسكه، فدلوه من السور في زنبيل ونجا منه (٢ كو ١١: ٣٣). وكان في الأتعاب، أكثر من باقي الرسل، في الضربات أوفر، في السجون أكثر، في الميتات مرارًا كثيرة، جُلد من اليهود خمس مرات، ثلاث مرات ضُرب بالعصي، مرة رجموه حتى ظن أنه مات، ثلاث مرات انكسرت به السفينة... وعاش في تعب وكد، في جوع وعطش، في برد وعري... (٢ كو ١١: ٢٣-٣٧). وقضى حياته مع زملائه في الخدمة لله كمضطهدين... كمجهولين... كمائتين... كمؤدبين... كمحزانين... ككفقراء... (٢ كو ٦: ٨-١٠).

وفيما كان ذهبًا ومرًا، كان لبانًا أيضًا.

كرنيس كهنة، كرسول، كأب لأساقفة من أمثال تيموثاوس وتيطس... كرجل عبادة وتأملات لله في أسهار، في أصوام لله (٢ كو ٦: ٦)، في حياة بلا لوم أمام الله والناس، لا يجعل نفسه عثرة في شيء، لئلا تلام الخدمة (٣ كو ٦: ٣)...

وأنت ماذا تقدم للمسيح، من ذهب ولبان ومر؟
ليس من هذه الأشياء المادية التي قدمها المجوس، و انما كيف تقدم حياتك كذهب؟ وكيف تقدم حياتك كلبان ومر؟ كي تفتح قلبك للمسيح. ويداك تقطران مرًا (نش ٥: ٥)، أي ويداك معطرتان بالمر في كل ما تقدمه هاتان اليدان لأجله... عطر الآلام التي تتقدس بها نفسك أمام الله..
إن أجمل ما في الحياة، هو الألم لأجل الله.
الألم المقدس، الذي يسر به الرب، لأنه يدل على البذل النابع من الحب... مثل آلام الشهداء والخدام والكارزين... ولكنه ليس ألمًا من حياة كلها حزن...! كلا، بل كما قال الرسول عن آلامه وآلام زملائه لله كحزانى ونحن دائمًا فرحون لله (٢ كو ٦: ١٠).
والسيد المسيح على الصليب، كان ذهبًا ولبانًا ومرًا.
كان مرًا، لأنه ذاك أقسى الآلام من أجلنا، وحسن عارًا وخطية، وأحصي مع الأثمة (إش ٥٣: ١٢).
وكان على الصليب كاهنًا يقدم ذبيحة عن خطايا العالم كله، أعني ذبيحة نفسه... وكان ملكًا، لأنه قيل إن الرب ملك على خشبة (مز ٩٥)، ملك وهو مسمر على خشبة الصليب، حيث حطم كل مملكة الشيطان، وأنقذنا من أسره، قيدًا ملكوت الله بالفداء...
فإن أردت أن تملك معه، اصعد على الصليب.
اصعد معه على الصليب، وتألم معه لكي تتمجد معه (رو ٨: ١٧). اصعد معه على الصليب، فهناك عرشه. ولا يمكن أن تملك معه، إلا إذا كنت تغني مع الرسول وتقول للمسيح صلبت لله (غل ٢: ٢٠).
فإن صعدت إلى الصليب مع المسيح، وذقت المر معه، حينئذ تملك معه. ويضع على رأسك إكليلاً من

ذهب، هو إكليل الملك. وتكون حياتك بخورًا يصعد إلي الله، أي تكون لباتًا أيضًا، لباتًا محترقًا في نار الله المقدسة.

وفي صليبك تتحقق التقدمة الثلاثية في حياتك. نعم هذه هي الصورة التي أحب أن تضعوها باستمرار أمام أعينكم، صورة المسيح المصلوب.

صورة المسيح المصلوب، هي صورة تقدمات الخوس.

ترى فيها الذهب واللبان والمر، الملك والكهنوت والألم. فيها ترى المسيح الملك، وعلى صليبه لافتة مكتوب عليها ليسوع الناصري ملك اليهود الله...

ولم تكن مملكته من هذا العالم، إنما كانت أسمى من العالم، ارتفع فيها عن الأرض وعن التراب، روحيًا وجسديًا. وعلى الصليب نكون ملوكًا معه؟ لا بالمعنى الحرفي، بل بالمعنى الروحي.

إذن حينما يطلب إليك أن تكون ذهبًا ولبانًا ومرًا، إنما يطلب إليك أنت تصعد على الصليب.

والذي لم يصعد على الصليب، لم يدخل المسيحية بعد.

لم يذق طعمها بعد، لم يذق مرها وملكها، لأن المسيحية صلب مع المسيح، موت مع المسيح، منذ المعمودية التي يقول عنها الكتاب الله دُفنا معه في المعمودية. متحدين معه بشبه موته... عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه الله (رو ٦: ٤-٦) وهكذا نستمر معه في الله شركة آلامه الله (في ٣: ١٥) شركة آلامه، ليست في المر فقط، بل وفي اللبان والذهب.

واضحة جدًا شركة الآلام في المر. ولكن كيف تكون في اللبان؟

إن اللبان لا يمكن أن يصير بخورًا، وتصعد رائحته إلى الله، إلا إذا وُضع في النار، إلا إذا دخل في الجمرة واحترق. وتكون الجمرة بالنسبة إليه صليبًا، يختبر فيها الرب وشركة آلامه... فماذا عن الذهب إذن،

الذي يرمز إلى الملك؟

إن الإنسان لا يمكن أن يملك مع الرب، إلا إذا تألم معه. لا يمكن أن يتكئل باكاليل من ذهب، إلا إذا تعب من أجل الرب للوكيل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه(لله (١ كو ٣: ٨). وهكذا نجد أن شركة الآلام هي الطريق إلى الذهب، إلى الملك، ومجد الأبدية.

صدقوني أنا متعجب من هؤلاء المجوس.

كيف استطاعوا أن يقدموا للرب تقدمات تحمل كل هذه الرموز؟ لعلهم كانوا مسوقين في ذلك بالروح القدس. ولعلهم صاروا فيما بعد شهودًا للمسيح في بلادهم، وحملوا اسمه كأول من آمن به من الأمم للوسجدوا له لله (مت ٢: ١١).

فهل يقودك النجم مثلهم؟ وهل تسجد معهم وتقدم ذهبًا ولبانًا ومرًّا؟

وإن لم تستطع أن تقدم كل هذا:

على الأقل قدم شيئًا، أي شيء، قدم ما تستطيعه.

إن لم تستطع أن تقدم النفس كلها، قدم مشاعر النفس. وعلى رأي القديس يوحنا ذهبي الفم حينما يقول: إن الله يجول طالبًا سببًا لخلاصك. ولو دمعة تذرفها لأجله، يأخذها الرب. قبل أن يختطفها شيطان المجد الباطل، ليكافئك عليها.

إذن قدم للرب شيئًا. قل له في هذا اليوم:

أنت يارب قدمت من أجلي كل شيء.

ولم تدعني معوزًا شيئًا من أعمال كرامتك. من أجلي أخليت ذاتك. وقدمت هذه الذات على الصليب من أجلي. وأعطيتني حبك كاملاً، وأعطيتني جسدك ودمك. وأقمت عهدًا بيني وبينك، فيه قدمت لي

الخلاص مجانًا... فعلى الأقل لابد أن أقدم لك شيئًا مع هؤلاء المجوس.
وإن كان هؤلاء المجوس- وهم من الأمم الغرباء- قد عرفوا أن يقدموا كل هذه الهدايا العميقة في رموزها، فكم ينبغي أن تكون هدايانا نحن المخلصين بدمك...
هناك كلمة جميلة يمكن أن تقال في مناسبة الهدايا هذه، وهي:
لا تقف أمام الله فارغًا...
فقد قال الرب عن شعبه، وبخاصة في زمن الحصاد لله لا تظهروا أمامي فارغين(خر ٢٣: ١٥)...
عجيب أن الرب وهو مالك السماء والأرض وكل شيء، وهو مصدر الخيرات كلها، يطلب منك ألا تقف أمامه فارغًا، وإنما لابد أن تقدم له شيئًا، أي شيء. وحبذا لو قدمت له خير ما عندك، كما قدم هابيل لله من أبكار غنمه ومن سمانها(تك ٤: ٤). وحبذا أيضًا لو قدمت له من أعوازك كما قدمت الأرملة (مر ١٢: ٤٤).
على أن أثمن ما تقدمه هو قلبك.
فكثيرون يقدمون للرب عطايا هي من خارج أنفسهم، بينما نفوسهم ليست له...!
أما الرب فيقول لكل من هؤلاء ابني اعطني قلبك(أم ٢٣: ٢٦).
قلبك هو الذهب واللبان والمر. هو منبع المشاعر والعواطف كلها. وكل عطية ليست من قلبك، أو لم يشترك فيها قلبك، ليست هي مقبولة أمام الله. إذن قدم من قلبك ما تستطيعه، مهما كان قليلاً. ما دمت تقدم في حب.
والقليل الذي تقدمه، سيكون ثمينًا في نظر الله.
ونحن نصلي في أوشية القرابين من أجل أصحاب الكثير، وأصحاب القليل، بل حتى من أجل

أصحاب الكثير، وأصحاب القليل لله، بل حتى من أجل الله الذين يريدون أن يقدموا، وليس لهم لله...
حتى مجرد هذه النية أو هذه الرغبة مقبولة أمام الله...
قدم أي شيء، ولا تخجل من قلته وضعفه.
قدم صلاة ولو فاترة. واطلب من الله أن يقبلها ويعطيك الحرارة.
قدم توبة، ولو ضعيفة ومترددة. واطلب منه الثبات والقوة.
قدم ضعفك، ليقويك. وقدم خلوك لكي يملأك. قل له:
أنا يارب لا أملك ذهبًا ولا لبانًا ولا مرًّا.
لا أملك ما أقدمه لك مثل هؤلاء المجوس... فعلى الأقل سأمشي معهم، وأذهب إليك معهم، وأنظر إليك، ولو مجرد نظرة، ويديّ فارغة. ولو مجرد نظرة تأسف واعتذار على فراغي... حينئذ سأجد يديّ مملوءة ذهبًا ولبانًا ومرًّا، من عندك أنت. وحينئذ أقول لك:
لله من يدك أعطيناك لله (١ أي ٢٩: ١٤).
يارب اغفر فراغي، وارحم فراغي، واعطني ما أعطيك...

بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين
تأملات في الميلاد

لله لا يترك نفسه بلا شاهد...
نوعيات متعددة... قدّس كل شيء...

ويرفع معنويات الكل...

إن الذي يمعن النظر في قصة الميلاد، يجد نفسه أمام تأملات كثيرة. لعل في مقدمتها إن الله، في كل عصر من العصور مهما كانت مظلمة، لا يترك نفسه بلا شاهد (أع ١٤: ١٧).

لا يترك نفسه بلا شاهد لقد أحيط ميلاد الرب بمجموعة من القديسين... على الرغم من أنه كان عصرًا مظلمًا.

كان عصرًا مظلمًا حقًا، لذلك قيل عن مجيء المسيح فيه «النور أضاء في الظلمة. والظلمة لم تدركه» (يو ١: ٥). والسيد المسيح نفسه قال عن الجيل الذي عاش فيه «جيل فاسق وشرير يطلب آية، ولا تُعطى له» (مت ١٢: ٣٩، مت ١٦: ٤). وكرر مثل هذا الكلام في مناسبة أخرى (مر ٨: ٣٨). ولما تكلم عن المعلمين الذين أرشدوا الناس قبل مجيئه، قال عنهم «كل الذين أتوا قبلي، هم سراق ولصوص» (يو ١٠: ٨).

وظهور قديسين في هذا العصر الحاطيء، يعطي رجاء.

إن فساد العصر لا يمنع أن روح الله يعمل. ووجود الأرض الخربة الخاوية المغمورة بالماء والظلمة، لا يمنع أن روح الله يرف على وجه المياه (تك ١: ٢). وفي كل جيل يستحق طوفانًا ليغرقه، لابد من وجود نوح ليشهد للرب فيه فالله لا يترك نفسه بلا شاهد وهكذا كان العصر الذي ولد فيه المسيح.

رأينا مجموعة كبيرة من القديسين عاصرت الميلاد . نذكر من بين هؤلاء، القديس زكريا الكاهن، الذي ظهر له الملاك وهو يبخر عند المذبح (لو ١: ١١). وزوجته القديسة أليصابات. وقد قيل عنه وعن زوجته:

وكانا كلاهما بارين أمام الله.. (لو ١: ٦).

وقيل عنهم كذلك إنهما كانا لله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه، بلا لوم لله (لو ١: ٦). إن الفساد السائد في ذلك العصر، لم يكن عقبة تمنع وجود هؤلاء الأبرار فيه.

وإلى جوارهما، وجد يوسف النجار وسمعان الشيخ... وقال الكتاب عن يوسف النجار أنه لله كان رجلاً بارًّا لله (مت ١: ١٩). وسمعان الشيخ شهد له الكتاب بأنه لله كان بارًّا تقيًّا، ينتظر تعزية إسرائيل، والروح القدس كان عليه لله (لو ٢: ٢٥). إنه أمر يجلب الرجاء والتعزية، أن نسمع أنه في جيل فاسق وشرير، أمكن وجود رجل بار، عليه روح الله، وأنه لله أوحي إليه بالروح القدس لله، وأنه لله أتى بالروح إلى الهيكل لله (لو ٢: ٢٦-٢٧).

جيل فاسد، ولكن الروح القدس يعمل فيه.

ونتيجة لعمل الروح وُجد هؤلاء الأبرار... وكان الروح يكلمهم... وكان الملائكة يظهرون لهم.

وكانت لهم أحلام مقدسة. واستحقوا أن يروا المسيح له المجد.

وفي وسط قديسي هذا العصر، نجد قديسة نبية هي:

حنة النبية بنت فنوئيل العابدة في الهيكل. وكانت هذه القديسة لله لا تفارق الهيكل، عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهارًا (لو ٢: ٣٧).

ومع هؤلاء وجدت العذراء والمعمدان.

وقيل عنهم كذلك إنهما كانا سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه، بلا لوم (لو ١: ٦). إن الفساد السائد في ذلك العصر، لم يكن عقبة تمنع وجود هؤلاء الأبرار فيه.

وإلى جوارهما، وُجد يوسف النجار وسمعان الشيخ... وقال الكتاب عن يوسف النجار أنه كان رجلاً بارًّا (مت ١: ١٩).

وسمعان الشيخ شهد له الكتاب بأنه للهكان بارًا تقيًا، ينتظر تعزية إسرائيل، والروح القدس كان عليه لله (لو ٢: ٢٥). إنه أمر يجلب الرجاء والتعزية، أن نسمع أنه في جيل فاسق وشرير، أمكن وجود رجل بار، عليه روح الله، وأنه للهأوحى إليه بالروح القدس لله، وأنه للهأتى بالروح إلى الهيكل لله (لو ٢: ٢٦-٢٧).

جيل فاسد، ولكن الروح القدس يعمل فيه.

ونتيجة لعمل الروح وُجد هؤلاء الأبرار... وكان الروح يكلمهم... وكان الملائكة يظهرون لهم.

وكانت لهم أحلام مقدسة. واستحقوا أن يروا المسيح له المجد.

وفي وسط قديسي هذا العصر، نجد قديسة نبية هي:

حنة النبية بنت فنوئيل العابدة في الهيكل. وكانت هذه القديسة لله لا تفارق الهيكل، عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهارًا لله (لو ٢: ٣٧).

ومع هؤلاء وجدت العذراء والمعمدان.

إننا لا نيأس من فساد أي جيل، إذ رأينا أن جيلاً شريرًا كهذا، عاشت فيه في حياة الكمال أطهر امرأة في الوجود، هي مريم العذراء، التي استحقت أن الروح القدس يحل عليها، وقوة العلي تظللها، ويولد منها ابن الله (لو ١: ٣٥).

وكذلك في هذا الجيل الفاسق، وُجد يوحنا المعمدان، الذي من بطن أمه امتلأ من الروح القدس (لو ١: ١٥). والذي وصفه الرب بأنه أعظم من ولدته النساء (مت ١١: ١١).

كل أولئك كانوا موجودين في عصر واحد، هو وقت الميلاد، بالإضافة إلى المجوس والرعاة الذين استحقوا بشارة الملائكة ورؤية المسيح.

وكان هناك قديسون آخرون وقت كرازة الرب وقيامته. نذكر من بين هؤلاء الاثني عشر رسولاً، والسبعين الآخرين الذين اختارهم أيضًا (لو ١٠: ١). ويذكر بولس الرسول للأكثر من خمسمائة أخ ظهر لهم السيد المسيح بعد قيامته (١ كو ١٥: ٦)... كل هؤلاء وأمثالهم كانوا الباكورة. ثم اكتملت القداسة الكل...

وكل هؤلاء اجتمعوا معًا في عصر قبل إنه فاسد. أليس هذا أمرًا يعطي رجاء للجميع؟!

ثم أنه مما يزيد الرجاء في القلوب حقيقة أخرى هامة وهي:

كان هؤلاء القديسون من نوعيات متعددة.

نوعيات متعددة

في إحدى المرات جاءني إنسان تائبًا ليعترف بخطاياه. وبعد الاعتراف طلب مني لمنفعته الروحية أن أرشده إلى قراءة قصص بعض قديسي التوبة. فأعطيته قصص قديسين كبار مشهورين في حياة التوبة، مثل القديس موسى الأسود، القديس أوغسطينوس، القديسة بيلاجية، القديسة مريم القبطية... ولما قرأهم وجاءني مرة أخرى، سألته: هل أعجبتك القصص؟ فأجابني:

نعم أعجبتني، ولكن كلهم من نوع واحد، توهب...

وسألني هل توجد سير لقديسين آخرين تابوا، ولكنهم عاشوا مثلنا في العالم، في مثل حياتنا، دون أن يزهبوا...؟ وهل كل الذين يتوبون، لا بد أن ينتهوا إلى الرهبنة؟

ألا يوجد تنوع في مصير التائبين؟

ولا شك أن ذلك الشخص كان له حق في سؤاله. إنه يريد عينة تابت، وعاشت بعد التوبة حياة مقدسة في العالم، مثلما يعيش هو...

وفي قصة الميلاد، نرى عينات متنوعة من القديسين، نذكر من بينها:

نرى في قصة الميلاد قديسين مختلفين في السن.

نرى إنسانًا طاعنًا جدًا في السن مثل سمعان الشيخ، ومثل زكريا الكاهن وزوجته أليصابات لله وكانا كلاهما متقدمين في أيامهما لله (لو ١: ٧). وكذلك حنة النبية لله وهي أرملة نحو أربع وثمانين سنة لله (لو ٢: ٣٧). ويوسف النجار أيضًا كان شيخًا...

وإلى جوار هؤلاء نجد السيدة العذراء مريم، وكانت في نحو الرابعة عشرة من عمرها، شابة صغيرة. ثم هناك يوحنا المعمدان وهو طفل، وقد ارتكض بابتهاج في بطن أمه لما سمع سلام العذراء (لو ١: ٤٤). ومن بطن أمه امتلأ من الروح القدس (لو ١: ١٥). أما الرعاة فغالبًا كانوا في سن الرجولة، لا أطفالاً ولا شيوخًا، وقد بشرهم الملاك.

وكان قديسو الميلاد، متنوعين من جهة عملهم.

كان منهم الكاهن، مثل زكريا، وتبعه في ذلك ابنه يوحنا.

وكان هناك النجار مثل يوسف، من سبط يهوذا وليس من الكهنوت.

أما سمعان الشيخ فكان من علماء اللاهوت أو علماء الكتاب.

والمجوس كانوا من رجال الفلك، وهم غير الرعاة في عملهم.

وحنة بنت فنوئيل كانت نبية، وكانت عابدة، والعذراء كانت عابدة وأليصابات كانت تخدم بينها (ست بيت).

والقداسة شملت الكل. لا يهم السن، ولا نوع العمل.

كل إنسان له نصيب في الرب: النجار مثل عالم اللاهوت، مثل الكاهن. والنبية مثل ست البيت. وعالم

الفلك مثل راعي الغنم... لقد جاء السيد المسيح للكل. وكل إنسان له رجاء في المسيح، بغض النظر عن سنه وعن عمله.

كذلك كان قديسو الميلاد متنوعين من جهة الزواج.

فهناك قديسون متزوجون عاصروا قصة الميلاد وبركته، مثل زكريا الكاهن وزوجته أليصابات. وكانت هناك الأرملة مثل حنة النبية (لو ٢: ٣٧). ولا شك أن سمعان الشيخ كان أرملاً أيضًا. وفي قديسي الميلاد نرى أيضًا المتبتلين مثل السيدة العذراء، ويوحنا المعمدان. ونرى المخطوبين مثال العذراء ويوسف النجار (لو ١: ٢٧).

في صورة واحدة اجتمع المتزوجون والمتزملون والمخطوبون والبتوليون، كلهم لهم نصيب في الرب، ونصيب في حياة القداسة والتمتع بالمسيح. الناس يتنازعون قائلين أيهم أفضل؟ ونحن نقول: الكل لهم نصيب في المسيح. المهم في نقاوة القلب.

وفي قصة الميلاد، نرى المرأة والرجل.

نرى قديسات نساء، مثل العذراء، وأليصابات، وحنة النبية.

ونرى قديسين رجالاً، مثل يوسف النجار، وزكريا الكاهن، وسمعان الشيخ...

الكل اجتمعوا معًا في الفرحة بميلاد الرب، لأن المسيح قد جاء للكل...

كذلك نرى في قصة الميلاد فقراء وأغنياء.

المجوس كانوا أغنياء، لأنهم قدموا هدايا من ذهب... ويوسف النجار كان فقيرًا. وكذلك كانت السيدة العذراء التي لم تجد مكانًا تضع فيه مولودها، فولدته في مزود بقر... وقد اجتمع الغني والفقير معًا في قصة الميلاد. لأن الرب يحتضن الكل. وكل إنسان له نصيب فيه. جاءت البشارة للرعاة

البسطاء، كما هيرودس الملك أيضًا (مت ٢: ٣).
وبنفس الوضع نجد في الميلاد أنواعًا من الناس.
نجد العمل، والتوحد: العمل ممثلاً في الرعاة الذين كانوا يسهرون في حراسات الليل على أغنامهم، وظهر لهم الملاك يبشرهم بالميلاد. والتوحد كان ممثلاً في حنة النبية التي كانت عاكفة على عبادتها في الهيكل، وسبحت الله على ميلاد المسيح (لو ٢: ٣٨).
وفي قصة الميلاد، كما نرى اليهود، نرى الأمم أيضًا يمثلهم المجوس.
نرى الصغير والكبير، العلماني والكاهن، العابد والخادم، النبي والإنسان العادي، المرأة والرجل... الكل معًا، في فرحة البشرية بالميلاد.
وفي الفرحة بالميلاد اشترك الملائكة مع البشر.
ملائكة بشروا بالميلاد، ميلاد المسيح المخلص للكل، وميلاد سابقه يوحنا المعمدان الذي يهيىء الطريق قدامه. وجمهور من الجند السماوي ظهروا مسبحين الله وقائلين: المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وفي الناس المسرة (لو ٢: ١٣-١٤).
وقصة الميلاد تعطي رجاء في اللقاء مع المسيح.
سواء في الطفولة، أو في الشيخوخة والكهولة.
يوحنا المعمدان، النقي بالولد، وارتكض بابتهاج لخوه، وهو بعد جنين في بطن أمه (لو ١: ٤٤).
والعذراء مريم النقت به في شبابها. وزكريا وأليصابات التقيا به وهما شيخان متقدمان في الأيام.
وكذلك حنة النبية. وسمعان الشيخ التقى به في سن الكهولة، وهو أكثر من ٢٠٠ سنة عمرًا. ولكن له رجاء في هذا اللقاء إذ أوحي إليه أنه لا يرى الموت قبل أن يرى المسيح الرب (لو ٢: ٢٦).

وكان في قصة الميلاد رجاء حتى للعاقر.
وتمثل ذلك في أليصابات التي كانت عاقرًا (لو ١: ٣٦). ومع ذلك أعطاها الله ابنًا في شيخوختها.
وكان ابنها أعظم من نبي، بل لم تلد النساء من هو أعظم منه (مت ١١: ١١).
وأعطى المسيح فرصة للكل أن يروه.
سواء الغرباء أو الأقارب: الغرباء مثل المجوس والرعاة. والأقارب مثل أليصابات نسيبة العذراء (لو ١: ٣٦)، ويوسف قريبها... أعطى فرصة لليهود والأمم.
كل أنواع الناس وجدت لها نصيبًا في المسيح الذي جاء ليعطي رجاء للكل... حتى إن كنت لم تبصر المسيح طوال عمرك، سواء ولو في كهولتك مثل سمعان الشيخ. وحينئذ تقول للهالآن يارب تطلق عبدك بسلام، لأن عينيّ قد أبصرتا خلاصك لله (لو ٢: ٢٩-٣٠).
وكما أعطى المسيح ميلاده رجاء للكل، كذلك قدّس كل شيء:
قدّس كل شيء
أراانا أن للهكل شيء طاهر للطاهرين لله (تي ١: ١٥).
وهكذا قدّس الجسد، لما أخذ جسدًا...
الجسد الذي يتكلم البعض عنه كما لو كان فاسدًا وسببًا لكل خطية. هذا قدسه الرب لما أخذ لنفسه جسدًا وحل بيننا، وأرانا كيف يكون الجسد طاهرًا ومقدسًا ومرضيًا لله...
وقدس الجسد، حينما حل الروح القدس في بطن السيدة العذراء. وقدس جسدها ليكون إناء طاهرًا مختارًا لحلول الله الكلمة. وقدس الجسد فيما بعد لما منحه نعمة القيامة والصعود إلى فوق. وأعطانا أن نقوم بأجساد روحانية (١ كو ١٥: ٤٤). وهكذا قدس أجسادنا، وقدس أرواحنا، وقدس طبيعتنا

البشرية عمومًا لله أخذ الذي لنا، وأعطانا الذي لله... وصيرنا نحن جسده، وهو الرأس...
وقدس كذلك بتجسده كل مراحل العمر.
أعطانا مثالاً للحمل المقدس. ومثالاً للطفولة المقدسة لما صار طفلاً. وبنفس الوضع أرانا كيف يكون الشباب مقدسًا، وكيف تكون الرجولة مقدسة. أعطانا الصورة المثالية لكل مرحلة من مراحل العمر لما مرّ بها.
وقدس المسيح الزواج.
قدس الزواج، لما سمح أن تتزوج العذراء بيوسف النجار، وإن كانت لم تعش معه كزوجة، إنما عاشت بتولاً في كنفه ورعايته.
وقدس الزواج أيضًا، لما حضر عرس قانا الجليل وباركه (يو ٢).
وقدس الأرض والبحر والمكان عمومًا.
الأرض التي لعنها الرب في خطية آدم (تك ٣: ١٧)، عادت فدخلتها البركة بميلاده. وهكذا بارك فلسطين بميلاده فيها، وبارك بلادنا مصر بإقامته فيها بضع سنوات. بل بارك مزود البقر إذ ولد فيه. وبارك بلاد الشرق. وبارك كل مكان حلّ فيه، وكل مكان صنع فيه معجزة. وبارك البحر لما مشى عليه.
وبارك الجبل حين ألقى عظة عليه، وحين تجلى على الجبل، وحين كان يختلي في جبل الزيتون، وحين صلب على جبل الجلجثة.
وقدس الحياة البشرية التي مارسها.
قدس الصوم، لما صام أربعين يومًا (مت ٤: ٢). وقدس الأكل والشرب، لما أكل مثلنا وشرب، حتى

قيل عنه لله جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب لله (مت ١١ : ١٩)
قدس العمل، حينما اشتغل نجارًا في بيت يوسف، وقيل عنه لله أليس هذا هو النجار ابن مريم لله (مر ٦ : ٣). وهكذا بارك العمل لما عمل بيديه. قدس كل عمل كانت تمتد إليه يده.
قدس الحياة كلها، وناب عن البشرية في هذا التقديس.
البشرية لم تقدم حياة مقدسة كاملة لله...
فقدمها الابن الكلمة نيابة عنا، كصورة الله.
قدم لنا الصورة التي ينبغي أن يحيا بها الإنسان الكامل على الأرض. وكان هو بيننا لله صورة الله غير المنظور لله (كو ١ : ١٥)، رأينا الله في شخصه... لأن الله لم يره أحد قط لله ولكن لله الابن الوحيد الكائن في حضن الآب هو خبَّر لله (يو ١ : ١٨). هو الذي قال لله من رآني فقد رأى الآب لله (يو ١٤ : ٩). فبالنسبة إلينا أرانا صورة الله. وبالنسبة للآب قدم له صورة الإنسان الكامل، الذي خلق منذ البدء على شبهه ومثاله (تك ١ : ٢٦). وعاد له بهاؤه في التجسد...
وفي هذه الصورة الإلهية، قدس كل شيء.
قدس الفقر والغنى والمال.
قدس الفقر، لما ولد فقيرًا في مذود بقر، وعاش فقيرًا ليس له أين يسند رأسه. وقدس الفقر لما اختار له تلاميذ فقراء صيادي سمك... وفي نفس الوقت قدس الغنى، لما سمح أن يكفنه رجل غني هو يوسف الرامي (مت ٢٧ : ٥٧)، ودفن في مقبرته الخاصة. وقدس المال، إذ كان لجماعته صندوق يضع فيه المتبرعون مالهم (يو ١٢ : ٦). وقدس المال لما امتدت الأرملة التي دفعت من أعوازها فلسين في الخزانة (لو ٢١ : ٢). وهكذا لم يعد المال شرًا في ذاته كما يظن البعض.

ويرفع معنويات الكل يرفع معنويات الأطفال، بمحبته وحنانه.

الأطفال الذين كان ينظر إليهم الكبار في احتقار، وكانوا يتنهرونهم ويطردونهم من طريقه، هؤلاء رفع هو من معنوياتهم لما قال لتلاميذه الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم، لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات لله (لو ١٨: ١٦). وأيضًا لما رفع طفلاً في الوسط وقال لتلاميذه إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال، لن تدخلوا ملكوت الله (مت ١٨: ٣). وكان يحب الأطفال ويحتضنهم ويباركهم (مر ١٠: ١٦). ولما انتهرهم وهم يسبحون يوم أحد الشعانين، دافع عنهم بقول المزمور فمن أفواه الأطفال والرضعان هيأت سبحًا لله (مت ٢١: ١٦).

وفي هذا المجال، تعجبني صورة للمسيح يبارك الأطفال.

صورة رأيتها في كتاب عن خدمة الكلمة في مدارس الأحد في أفريقيا وفي بلاد الشرق الأقصى: فيها المسيح يبارك أطفالاً متعددي الأجناس، فيهم الطفل الأبيض ذو العيون الخضراء والشعر الأصفر المسترسل وشكله جميل. وفيها الطفل الأسود الجميل أيضًا بشعره المفلفل اللطيف. وفيها أيضًا الأطفال الجميلة من الأجناس الصفراء. ذات الملامح المعروفة: كلهم أطفال فيهم حلاوة وجمال، بيضًا وسودًا وصفرًا. والمسيح يبارك الكل. إنه قد جاء للكل... الفقير منهم الحافي القدمين، تمامًا كالغني ذي الملابس الأنيقة.

أمر مؤلم، أن توجد صورة للمسيح يبارك أطفالاً بيضًا فقط، يرى فيها السود مشكلة التمايز العنصري...! فالمسيح للكل. لقد بارك الأطفال من كل نوع ومن كل جنس، ورفع معنوياتهم جميعًا... ورفع الرب أيضًا من معنويات المرأة، وأعطاها مجالاً.

بارك النساء وخدمة النساء. ونسوة كثيرات كن يتبعنه من الجليل ويخدمنه (مت ٢٧: ٥٥). وكان يذهب إلى بيت مريم ومرثا في بيت عنيا (لو ١٠: ٣٨-٤٢). وبارك مريم المجدلية وجعلها تلميذة له، وظهر لها أولاً بعد القيامة (مر ١٦: ٩)، وأرسلها لتبشر تلاميذه الاثني عشر (مت ٢٨: ١٠). ودافع عن المرأة الخاطئة التي بلت قدميه بدموعها، وأظهر لسمعان الفريسي أنها أفضل منه (لو ٧: ٤٤-٤٦). ودافع عن المرأة التي ضبطت في ذات الفعل وقال لمن طلبوا رجمها. فلم كان منكم بلا خطية، فليرجمها أولاً بحجر.ثم وقال للمرأة ثم وأنا أيضًا لا أدينك، اذهبي بسلام (يو ٨: ٧).

كان المسيح أملاً ورجاء وسعادة، لكل أحد.

ومحبته ورعايته ظللت حتى العشارين والخطاة أيضًا.

كان العشارون محتقرين من الناس في جيلهم، لأنهم كانوا محبين للمال، وكانوا مشهورين بالظلم. ولكن السيد المسيح رفع من معنويات هؤلاء أيضًا، واقتادهم إلى التوبة والخلاص، بل إلى الرسولية أيضًا...

وهكذا فإنه في وسط الزحام نادى زكا باسمه، وقال له ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك ودخل بيته وقال لليوم حصل خلاص لهذا البيت، إذ هو أيضًا ابن ابراهيم (لو ١٩: ٩) ولم يبال بتذمر الناس عليه لدخوله بيت رجل خاطيء.

بل أكثر من هذا دعا متى العشار، وجعله رسولاً وأحد الاثني عشر (مت ٩: ٩-١٠).

وفي مثل الفريسي والعشار (لو ١٨: ٩-١٤)، أظهر للناس أن العشار في انسحاق قلبه وطلبه للرحمة، كان أفضل من الفريسي المفتخر ببره، وأنه خرج من الهيكل مبررًا دون ذاك...

وكما رفع معنويات العشارين، رفع معنويات الأمم.

كان الأمم مكروهين من اليهود، على اعتبار أنهم بعيدون عن الله، غرباء عن رعويته وعهوده، بلا أنبياء،

وبدأ يمتدح الأمم، ويظهر أنهم مقبولون أمام الله. وبدأ بدعوة المجوس وكانوا أمميين. وماذا أيضًا؟ شفائه لغلام قائد المائة الأممي (مت ٨: ١)، نراه قد أعجب بإيمان هذا القائد وقال الحق أقول لكم: لم أجد ولا في إسرائيل إيمانًا بمقدار هذا.

وقال في تفوق هذا الإيمان الأممي على إيمان اليهود «فأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب، ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السموات. وأما بنو الملكوت فيطرحون في الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (مت ٨: ١١-١٢).

وامتدح الرب أيضًا إيمان المرأة الكنعانية.

وقال لها «يا» امرأة عظيم هو إيمانك» (مت ١٥: ٢٨)، مع أنها من شعب كان أول من أصابته اللعنة بعد تجديد الأرض بفلك نوح (تك ٩: ٢٥). وكما شفى غلام قائد المائة، شفى أيضًا ابنة المرأة الكنعانية.

وهكذا رأى اليهود شيئًا جديدًا، في مدح الكنعانيين، والرضى عليهم، وشفاء أمراضهم. وبهذا رفع الرب من معنويات هؤلاء أمام الكل.

ورفع أيضًا معنويات الضعفاء والخاطئين...

نأخذ مثالاً لذلك بطرس الرسول الذي أنكره، وسب ولعن وقال لا أعرف الرجل. ولا شك أنه كان في خزي من نفسه حتى أنه خرج خارجًا وبكى بكاءً مرًا (مت ٢٦: ٧٥). فكيف رفع الإله الحنون معنوياته؟ يقول الكتاب أنه بعد القيامة «ظهر ليطرس ثم لباقي الاثني عشر» (١ كو ١٩: ٥). وماذا أيضًا؟ قال له الرب «ارع غنمي... ارع خرافي» (يو ٢١: ١٥-١٦) وهكذا لم يسحب منه رتبة الرسولية جزاء انكاره... حقًا، لقد ولد الحنان بميلاد الرب، أو رأى الناس هذا الحنان عمليًا، في صور مثالية لم يعرفوها... كان قليًا كبيرًا، يعطي من حنانه للكل.

حتى ذلك الرجل العظيم، نيقوديموس عضو مجلس السنهدريم الأعلى، الذي كان على الرغم من عظمته خائفًا من اليهود، لم يحتقر الرب خوفه، ولم يبكته عليه، لما جاء إليه هذا الرجل ليلاً (يو ٣: ٢) حتى لا يراه أحد... بل تناول الرب إلى ضعفه، وقابله في الليل، وظل يغرس الإيمان في قلبه شيئًا فشيئًا، فصار واحدًا من تلاميذه ودافع عنه لما هاجمه الفريسيون (يو ٧: ٥٠-٥١). واشترك مع يوسف الرامي في تكفينه (يو ١٩: ٣٩-٤٠).

وبنفس الحنان والعطف، تعامل الرب مع النساء.

كانت له جلسة روحية هادئة مع المرأة السامرية، لم يبكتها فيها على خطاياها، إنما حدثها عن الماء الحي، واجتذبها للاعتراف، وجعلها تؤمن وتدعو غيرها إلى الإيمان أيضًا (يو ٤).

والمرأة نازفة الدم، التي يحسبها البعض نجسة، سمح الرب أن تلمس ثوبه، وأن تنال منه الشفاء. ولما رآها مرتعدة لأنها لمست ثيابه، قال لها «ثقي يا ابنة، إيمانك قد شفاك، اذهبي بسلام» (مر ٥: ٢٥-٣٤).

والمرأة التي سكبت الطيب على قدميه، وانتهرها الناس، دافع الرب عنها، وطوّب عملها، قائلاً للناس: لماذا تزعجون المرأة؟ لقد عملت بي عملاً حسنًا.

وقال عنها أيضًا «الحق أقول لكم: حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم، يخبر أيضًا بما فعلته هذه تذكارًا لها» (مر ١٤: ٣-٩، مت ٢٦: ٦-١٣). ما أجمل هذا التشجيع. إنها عبارات تعزي جنس المرأة بوجه عام. أعطانا الرب في تجسده مثالاً للقلب الحاني على كل أحد...

وكان حانيًا على الخطاة...

كان يجلس معهم ويقتادهم إلى التوبة. ولا يعتبرهم أشرارًا بقدر ما يعتبرهم مرضى. ويقول عنهم في رفق لله لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى، لم آتِ لأدعو أبرارًا بل خطاة إلى التوبة» (مر ٢: ١٧).

وهكذا جعل للخطاة نصيبًا فيه، ورجاء فيه...

كان رجاء لكل من فقد الرجاء.

كل مريض كان يفقد الرجاء في شفائه، ويعجز الأطباء عن شفائه، كان يأتي إلى المسيح، رجاء من ليس له رجاء، ومعين من ليس له معين... ولعل من أمثلة ذلك مريض بيت حسدا، الذي قضى ثمان وثلاثين سنة في مرضه، وليس له إنسان يلقيه في البركة، هذا جاء إليه السيد المسيح بنفسه، بقلبه، بحنانه، بإدراكه احتياجات الإنسان... وشفاه وجعله يحمل سريره ويمشي (يو ٥: ١-٩).

كل إنسان، وكل مكان، شهد حنان الكلمة المتجسد.

كان يدخل بيوت الناس، وكان يدخل الى سفن الصيادين. وكان شخصًا شعبيًا مع الكل... يقابل الكل ويكلمهم: في الطريق، وفي البحر، وعند البحيرة، وفي الزروع، وفي مواضع خلاء... في كل مكان.

ومجامع اليهود أيضًا، دخلها وعلم الناس فيها (لو ٤: ١٦-٢١) كان للكل. جاء من أجل الجميع، ليخلص الجميع.

لم يشعر أحد أنه محروم منه، حتى الذين ينتقدونه!

فالفريسيون الذين كانوا يقفون ضده، والذين كانوا يريدون أن يصطادوه بكلمة، لم يمتنع من زيارتهم وإظهار الحب لهم، وأن لهم أيضًا رجاء فيه. ولما دعاه سمعان الفريسي، دخل إلى بيته، واتكأ... وناقشته وكلمه ودخل معه في حوار (لو ٧: ٣٦-٤٧).

كان قلبًا مفتوحًا للكل، يجول يصنع خيرًا (أع ١٠: ٣٨).

أرانا صورة الإله المحب... كل شخص يجد له نصيبًا فيه، مهما كانت نوعيته، ومهما كان سنه، ومهما كانت حالته الاجتماعية، أو ثقافته أو جهله... إنه للكل، قلبًا محبًا محبوبًا، يصنع الخير مع كل أحد،

ويفيض حبًا وحنانًا وتعليمًا على كل من يقابله. ويمنح الشفقة للجميع، حتى لمنتقديه ومعارضيه، حتى للص المعلق إلى جواره على صليب... حتى لصالبيه الذين قال عنهم للآب «اغفر لهم، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون» (لو ٢٣: ٣٤). كان تجسده درسًا عميقًا في الحب. يستطيع كل من يراه أن يقول: لي رجاء في هذا الإله، الذي جاء لكل أحد.

لقد جاء للخطاة الذين أوهم أنا. وجاء أيضًا حتى لمضطهدي الكنيسة. خذوا مثالاً لذلك، شاول الطرسوسي، الذي كان يضطهد الكنيسة بإفراط، وكان يجر رجالاً ونساءً إلى السجن، هذا أيضًا في وقتٍ ما، قابله السيد المسيح في طريق دمشق، ودعاه، ليس فقط إلى الإيمان، وإنما إلى الخدمة، كرسول (أع ٩)، ووجد شاول نفسه في قلب الرب، وصار خادمًا له، يكرز بالإيمان أكثر من الجميع...

حتى الجندي الذي طعنه بالحربة، صار له نصيب فيه.

لقد طعنه هذا الجندي الروماني. ولكن الرب قابل طعنته بحب، ومنحه نعمة القيادته إلى الإيمان. فقال للهِ حقًا كان هذا ابن الله (مت ٢٧: ٥٤)، وشهد أيضًا لبره (لو٢٣: ٢٧). وصار هذا الجندي قديسًا. إنه القديس لونجينوس، تعيّد الكنيسة لاستشهاده يوم ٢٣ أبيب.

حقًا، كل الذين قابلوه، منحهم نعمة وبركة

لم يغلق ذاته على أحد إطلاقًا، بل فتح قلبه للكل، وفتح فمه ليعلم الكل. وفتح أبواب خلاصه أمام الجميع. وكلمة الجميع هنا، لخصها الكتاب في عبارة واحدة هي «هكذا أحب الله العالم...» (يو ٣: ١٦)... فهو لم يقصر محبته على طائفة أو مجموعة معينة، أو نوعية خاصة من الناس، أو شعب واحد، وإنما أحب العالم كله، بلا استثناء... وفي هذا الحب العام للجميع، الذي في تجسده يفدي الجميع ويخلصهم،

قيل عنه إنه:

حمل الله، الذي يرفع خطية العالم (يو ١: ٢٩).

وقال عنه القديس يوحنا الحبيب إنه لله كفارة خطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضًا (١ يو ٢: ٢).

أي قلب هو هذا القلب الكبير، الذي يتسع للعالم كله والذي يحمل خطايا الكل. وقد وُضع عليه إثم جميعنا (إش ٥٣: ٦). وأصبح كل خاطيء يقترب إلى دمه، يجد فيه مغفرة كاملة، مهما كانت خطايا من يطلب الغفران.

كل إنسان، مهما كانت نوعيته، صار له نصيب فيه.

نقول إن هناك نصيبًا ليوحنا الذي يتكيء على صدره، وأيضًا لتوما الشكاك الذي لا يؤمن إلا إذا وضع إصبعه في مكان الجروح (يو ٢٠: ٢٧). وفي قلبه مكان أيضًا لبطرس الذي كان مندفعًا ومتسرعًا، وكثيرًا ما وبخه الرب على اندفاعه في الكلام (مت ١٦: ٢٣، يو ١٣: ٨). وكذلك كان في قلبه مكان لمرقس الشاب الذي هرب عريانًا وقت القبض عليه، اذ كان يلبس إزارًا على عريه، فلما أمسكوه ترك الإزار وهرب عريانًا (مر ١٤: ٥١-٥٢). ومع ذلك قبله الرب، وحل الروح القدس في بيته (أع ٢)، وصار بيته أول كنيسة في العالم (أع ١٢: ١٢).

لا يوجد أحد ليس له نصيب في المسيح.

كان للكل، الصغير والكبير، للعامي والفيلسوف. كان للصيادين البسطاء، كما للوقا الطبيب والفنان، كما لشاول الفيلسوف الذي تهذب عند قدمَيّ غمالائيل (أع ٢٢: ٣). إنه لجميع الناس. كل أحد كان يشعر بدالة وصداقة يمكن أن تربطه بالرب... وكل أحد كان يشعر بتواضع هذا المعلم الصالح.

وبسماحته ومحبته وحنانه وإشفاقه ومعرفته للطبيعة البشرية واحتياجاتها.
ولقد استطاع في تجسده أن يشبع كل حي من رضاه، وأن يحمل أثقال الكل، ويقول عبارته المشهورة: تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم (مت ١١: ٢٨). وهكذا كان مريح التعابى، سواء المرضى والمصروعين، الذين كان يضع يديه على كل واحد منهم فيشفيهم (لو ٤: ٤٠). حتى مريم المجدلية التي كان فيها سبعة شياطين (مر ١٦: ٩)، شفاها وتبعته وصارت من تلاميذه...
حقًا من كان يظن أن إنسانة فيها سبعة شياطين، تصير مبشرة للرسل الاثني عشر بقيامة المسيح!... حقًا إن التجسد الإلهي هو باب الرجاء.
وجدنا فيه الرجاء لكل واحد. ووجدنا فيه صورة الإله الحنون الذي يحب الكل، الذي فيه رجاء لكل إنسان، حتى للذي فيه سبعة شياطين. إذن لا ييأس أحد... مهما كان من جهال العالم، أو من ضعفاء العالم، أو من المزدرى وغير الموجود... (١ كو ١: ٢٧-٢٨)، فإن الله سيخزي بهم الحكماء والأقوياء.
إذن آمنوا بالرب الذي للكل، وحمل أثقال الكل، وحمل خطايا العالم كله، له المجد من الآن وإلى الأبد آمين.

بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين
فاعلية الميلاد في حياتنا

ليس الاحتفال بالعيد هو إنهاء صومنا،
أو مجرد تبادل التهاني والمجاملات،

أو فرحنا فرحًا عاليًا في مظاهر معينة.
إنما العيد الحقيقي، وفرحته، واحتفالاته: في أن ننال الفضائل التي يوحي بها العيد،
فنكون له فاعليته فينا...
فكيف يكون ذلك؟

أهنئكم جميعًا بعيد الميلاد المجيد، راجيًا لكم حياة مقدسة مباركة. كما أرجو أن يكون هذا العيد سعيدًا عليكم، تنالون البركات التي فيه، وتشعرون بفاعلية العيد في حياتكم. وبهذه المناسبة، أحب أن نتأمل معًا بضعة أمور، لعل في مقدماتها:

الله رتب لنا أعيادًا إن الله أراد لأولاده أن يفرحوا، فرتب لهم أعيادًا.

إنه شيء جميل حقًا، يليق بالتأمل، أن الله يحدد أيامًا معينة للفرح، ويوجد مناسبات تحسب أعيادًا، يعيد فيها الناس ويفرحون.

لم ينس الله هذه النقطة، بل اهتم بها. وعندما أعطى البشرية شريعة، لم تكن شريعته مجرد أوامر ونواهٍ. إنما وضع ضمن الشريعة أيامًا للفرح، وأيامًا للأعياد، لأنه يريد لأولاده أن يفرحوا، وأن يعيدوا، وتبتهج قلوبكم.

وهذا واضح في الأصحاح الثالث والعشرين من سفر اللاويين:

حيث نقرأ فيه «وكلم الرب موسى قائلاً: كلم بني إسرائيل وقل لهم مواسم الرب التي فيها تنادون محافل مقدسة، هذه هي مواسمي... هذه مواسم الرب... لله»

فالأعياد في الكتاب المقدس، هي مواسم للرب، أيام للرب.

ومن ضمن هذه الأعياد، يوم الرب، يوم الراحة الأسبوعي. هذا اليوم هو أول عيد. إذ يقول الله ستة أيام

يعمل فيها عمل. أما اليوم السابع ففيه سبت عطلة، محفل مقدس. عملاً ما لا تعملوا. إنه سبت للرب (لا ٢٣ : ٣)... وبهذا المعنى تكلم الرب أيضًا عن باقي الأعياد. إنها أيام للرب، أيام للراحة. ولا يصح أن يكون يوم العيد يوم عمل، لأنه يوم للرب. والعمل فيه كسر للوصية الإلهية.

حيث أن يوم العيد يوم مقدس، مخصص للرب.

العالم ليس له نصيب فيه، لا من جهة العمل، ولا من جهة اللهو والعبث. إنه يوم عطلة. ولكن عطلة للرب. ولعل الترجمة الإنجليزية للكلمة تعطي معنى أجمل:

يوم العطلة ترجمته أي يوم مقدس.

إذن أيام الأعياد، مع يوم الراحة الأسبوعي، هي أيام مقدسة حسب الشريعة، وهي أيام مخصصة للرب، ينبغي أن نشعر فيها تمامًا أنها كلها من نصيب الرب. وقد كانت للأعياد قديمًا، طقوس دينية معينة تمارس فيها، مثلما كان يحدث في عيد الفصح وعيد القطير (خر ١٢) وفي عيد الحصاد وغيره من الأعياد (لا ٢٣). وما زالت للأعياد طقوسها وصلواتها في العهد الجديد.

ولكن لا يصح أن نكتفي في تقديس يوم العيد، بالصلوات التي تقام في الكنيسة، إنما يجب أن نحرص على أن تكون له قدسيته الكاملة. وكيف ذلك؟ إن أهم ما يجعل للعيد قدسيته هو :

أن نتذكر الفضائل التي يوحي بها العيد، ونحياها...

فما هي الفضائل التي يقدمها لنا عيد الميلاد مثلاً، حتى ننفذها ونحيا بها؟... وبهذا يكون ليوم العيد فاعليته في حياتنا وسلوكنا، ونحتفظ بقدسيته عمليًا... لأنه ما الفائدة أن نحتفل بالعيد، وليست للعيد فاعلية نشعر بها، ويشعر بها الناس، في حياتنا العملية...

عدم الاهتمام بالمظاهر

من الدروس الهامة التي نتعلمها في عيد الميلاد، عدم الاهتمام بالمظاهر. فالسيد المسيح لم يهتم بها إطلاقًا. وإلا، فبماذا نفسر إرادته في أن يولد ببلدة صغيرة هي بيت لحم، وفي مكان حقير هو مزود بقر، وفي يوم لا يعلن للناس... وبدون احتفالات...؟!

كان في إمكانه أن يأتي إلى العالم في موكب مهيب، على مركبة من الشاروبيم والسارافيم. ولكنه لم يهتم بالمظاهر. وولد في يوم شديد البرودة، لم يجد فيه أقمطة كافية ولا دفئًا. فعلينا إذن أن نتأمل هذه النقطة ونأخذ منها درسًا.

فإن بعدنا عن المظاهر العالمية، ندخل في فاعلية الميلاد.

فالعظمة الحقيقية، ليست في المظاهر الخارجية من غنى وملابس وزينة... وباقي أمثال هذه الأمور التي فيها إعلان عن الذات، إنما العظمة الحقيقية هي في القلب المنتصر المملوء بالفضائل...

ابحثوا إذن ما هي المظاهر الخارجية التي تقعون في حبها، وتحبونها... إن أردتم أن تكون للميلاد فاعلية في حياتكم... وماذا أيضًا؟

من دروس الميلاد: الاتضاع... إن ميلاد السيد المسيح هو أكبر درس في الاتضاع. وقصة الميلاد بدون الاتضاع، تفقد جوهرها الإلهي. تأملوا إذن في اتضاع الرب، الذي في تجسده لم تحتمل ذاته، وأخذ شكل العبد. وصار في الهيئة كإنسان (في ٢: ٧-٨). وتأملوا في صورة الميلاد أيضًا، أمنا العذراء التي قالت عن اختيار الرب لها: نظر إلى اتضاع أمته (لو ١: ٤٨).

فإن أردنا الاحتفال بالميلاد، فلنحتفل بالاتضاع فيه وفينا.

ولنبحث ما هي أعماق الاتضاع، وكيف تكون، وكيف نحياها؟ وما هي الأمور التي تضاد الاتضاع في حياتنا لكي نتجنبها؟ لأنه ما الفائدة أن ننظر إلى اتضاع المسيح، دون أن نقتني هذا الاتضاع، ونشابهه

فينا، إذ قد ترك لنا مثالاً (يو ١٣: ١٥)، حتى كما سلك هو، ينبغي أن نسلك نحن أيضًا (١ يو ٢: ٦).
وماذا غير الاتضاع والبعد عن المظاهر؟

من دروس الميلاد: البساطة...

نلاحظ في قصة الميلاد أن هناك أشخاصًا إختارهم الرب، وأعلن لهم مشيئته... بينما هناك آخرون على الرغم من علو مكانتهم ومراكزهم لم يقع اختيار الرب عليهم. فمثلاً أعلن الرب بشارة الميلاد للرعاة، وللمجوس، فسمعوا وفرحوا، وذهبوا إلى هناك، وسجدوا...
حدث هذا، بينما لم تعلن هذه البشارة لكبيرين من القادة، كالكتبة والفريسيين والكهنة وشيوخ الشعب... فلماذا؟
ذلك لأن أسرارالرب، تعلن لقلوب بسيطة تفرح بها.
المجوس والرعاة كانوا بسطاء، سمعوا فصدقوا ففرحوا وآمنوا. وذهب المجوس وقدموا هداياهم. وكما أرشدهم الرب في حلم، نفذوا ما أراد (مت ٢: ١٢).
أما الكبار فلم تكن قلوبهم مستعدة، ولم تكن بسيطة... ومثل ذلك هيرودس الملك، الذي لما سمع الخبر اضطرب وكل أورشليم معه (مت ٢: ٣).
واستخدام الفحص والاستقصاء، وأيضًا الكذب والحيلة والتآمر... أمامك النوعان من الناس. فمن أي أنت؟ هل أنت من المستحقين أن يعلن لهم الرب أسراره؟
ولعلك تسأل: من أين لي أن أعرف؟ فأجيبك أن الاستحقاق يحتاج إلى بساطة قلب، كقلوب الرعاة البسطاء. وكالمجوس الذي على الرغم من كونهم حكماء، إلا إنهم كانوا بسطاء أيضًا، ولم يكن في قلوبهم مكر كهيرودس وأمثاله.

فلما أرشدهم النجم، صدَّقوا وتبعوه. ولما أعلن لهم في حلم ألا يرجعوا إلى هيرودس، صدقوا ونفذوا. ولما رأوا الرب كطفل، وفي مذود، لم يشكوا، بل آمنوا وصدقوا!... إن الإيمان يحتاج بلا شك إلى بساطة قلب... العذراء القديسة، كانت لها بساطة قلب أيضًا، فآمنت بما قيل لها من قبل الرب (لو ١: ٤٥). وصدَّقت أنها ستلد وهي عذراء. ويوسف النجار أيضًا آمن بنفس الموضوع، لما أوحي له بذلك في حلم... ونحن في هذه المناسبة علينا أن نسأل أنفسنا: هل نسلك ببساطة قلب، أم بتعقيد وشك؟ إن العالم المعاصر للأسف الشديد في حياته الكثير من التعقيد. وإن كان للمدنية المعاصرة أخطاء، فلعل في مقدمتها أنها أفقدت العالم ببساطة القلب.

والبساطة كنز عظيم، من الخسارة أن يضيع.

والبساطة غير السذاجة. ويمكن أن تكون بسيطًا وحكيمًا.

ولقد دعانا الرب أن نكون بسطاء وحكماء «بسطاء كالحمام، وحكماء كالحيات» (مت ١٠: ١٦). والمجوس كانوا بسطاء وحكماء. فلينا نحن أيضًا نكون كذلك. نكون بسطاء في غير انقياد وفي غير جهل، إنما مع حكمة، ولكن في غير تعقيد...

ومن دروس الميلاد: ملء الزمان...

قيل عن السيد المسيح إنه جاء «في ملء الزمان» (غل ٤: ٤). مع أن الوعد بالخلاص أعطي لآدم وحواء قبل ذلك بآلاف السنين.

ونحن في ميلاد الرب نتذكر «ملء الزمان» هذا، وأن كل شيء يتم في حينه الحسن، حسب إرادة الرب الذي يحدد الأزمنة والأوقات.

إيماننا بملء الزمان، يجعلنا نصبر، ولا نقلق...

ليست هي المقياس السليم، بل اختيار الرب للوقت المناسب. وعندما يأتي الوقت المناسب، لابد أن يعمل الرب عملاً...

سعي الله لخلاصنا

من المعاني الروحية التي نتعلمها من قصة التجسد والميلاد، أن الله هو الذي يسعى لخلاصنا. وأن خلاص الإنسان هو عمل الله نفسه، حتى لو قصر الإنسان أو أهمل في خلاص نفسه، فإن الله يهتم به. كانت البشرية الخاطئة عاجزة عن تخليص نفسها، فأتى الله ليخلصها.

قال القديس يعقوب السروجي: إنه كانت هناك خصومة بين الله والإنسان.

ولما لم يستطع الإنسان أن يذهب إلى الله ليصالحه، نزل الله إلى الإنسان لكي يصالحه...

إذن الله هو الذي بدأ عملية الخلاص هذه. هو الذي وعد بها، وهو الذي أعد لها، وهو الذي تمم العمل كله. وما كان ممكناً أن يتم الخلاص بدونه.

قصة الميلاد هي بداية عمل الخلاص كله. لذلك لما رأى سمعان الشيخ هذه البداية، قال للآن يارب تطلق عبدك بسلام، لأن عينيّ قد أبصرتا خلاصك لله (لو ٢: ٢٩-٣٠).

إن ميلاد السيد المسيح، ليس هو مجرد ميلاد عادي، إنما هو دليل الحب الإلهي العجيب لله هكذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد لله (يو ٣: ١٦). وطبعاً أرسل ابنه لكي يبذله عن العالم. فهذا البذل أو الفداء هو سبب التجسد الإلهي. هو مجيء محبة الله إلى العالم.

وكلما ننظر إلى صورة ميلاد المسيح، نتذكر حب الله للبشرية.

نتذكر سعيه لخلاصهم. نتذكر الرب الذي جاء لله يطلب ويخلص ما قد هلك لله (لو ١٩: ١٠). من أجل خلاصنا أخلى ذاته، وأخذ شكل العبد. تجسد، واحتمل ضعف البشرية، وجاع وعطش وتعب، وتعرض

للإهانات، وتحمل الآلام، صلب، وقبر وقام. أي حب أعظم من هذا، نتذكره كلما تأملنا ميلاده... ولد في مزود بقر، لكي يرفعنا إلى العرش في الأبدية.
صار ابنًا للإنسان، لكي يجعل الإنسان ابنًا لله. أخذ الذي لنا، لكي يعطينا الذي له. حمل خطايانا، لكي نحمل بره.
مجيئه إلى العالم، كان لونًا من الافتقاد ومن الرعاية، افتقد به جنسنا البشري. أرسل الأنبياء والرسل والملائكة لتعد الطريق قدامه. ثم جاء أخيرًا بنفسه. وكل هذا يدل على عمق محبته لنا، وأنه لا يشاء أن نهلك في خطايانا.
فإن كان الله يحبنا بهذا المقدار، فلنحبه نحن أيضًا.
وإن كان الله يسعى إلى خلاصنا بكل هذه التضحية والبذل، فلنحرص نحن على خلاصنا، ولنسلوك معه في العمل... نسعى لعلنا ندرك الذي لأجله أدركنا المسيح (في ٣: ١٢).
هذا أيضًا درس آخر نتعلمه من الميلاد. وإن كنا لا نهتم بخلاصنا، لا نكون قد دخلنا إلى فاعلية الميلاد في حياتنا.

روح المناسبة

لابد أن هناك دروسًا أخرى كثيرة نأخذها من ميلاد الرب. ولكن الشيء المهم هو أن ندرب أنفسنا على الاستفادة من هذه الدروس.
في هذا العيد، وفي كل عيد يمر بكم، وفي كل مناسبة روحية، ادخلوا في روح المناسبة لله. اكتشفوا واستفيدوا من هذا اليوم المبارك، فلا يمر مرورًا عابرًا دون أن يكون له أثر في حياتكم العملية.

اشعروا أن العيد قد أحدث في حياتكم تغييرًا إلى الأفضل.
وأن العيد كانت فيه دفعة قوية، دفعتكم إلى قدام، وقربتكم بالأكثر إلى الله. واذكروا أن العيد هو أحد مواسم الرب وأعياده. وقد أعطانا الرب أن نفرح فيه فرحًا روحيًا، لتكون لنا فيه حياة، ويكون لنا أفضل.